الفصل الرابع

الفاشية والنازية والصهيونية

الفصل الرابع

الفاشية والنازية والصهيونية

كانت بدايات النشاط التنظيرى للصهيونية فى القرن ١٩ فى ألمانيا فى كتابات موسى هس مؤلف كتاب : روما والقدس فى سنة ١٨٦٢م وفيه دعا إلى إقامة دولة يهودية ، ثم كانت جهود خلفه إسحاق رولف حاخام ميمل بألمانيا بكتاب بعنوان : إنقاذ إسرائيل فى سنة ١٨٨١م وقد رأى فيه أن ألمانيا منفى لليهود الذين يجب عليهم استعادة فلسطين ، وإقامة دولة وطنية لهم عليها ، وكان هذا الرأى مخالفًا للفكر الدينى اليهودى لليهود الألمان آنذاك الذى كان يدعو إلى حب ألمانيا باعتبارها وطن اليهود الألمان الحقيقى .

إذن حدث تحول فى الفكر اليهودى لليهود الألمان فى النصف الثانى من القرن ١٩ .

وقد يعتقد بعض الدارسين أن الصهاينة الألمان كانوا فى غالبيتهم أقل غلوًا من هرتزل ذى الثقافة الألمانية الذى كان يطالب بدولة قومية تجمع اليهود ، ذلك لأن المفكرين الصهاينة الألمان فى غالبيتهم كانوا قد اختاروا كلمة (بيت) للإقامة فى فلسطين ، ليسهل الاعتراف به دوليًا ، ولكى يظهروا فى الوقت نفسه بأنهم يرون أن من مصلحة اليهود الألمان أن يظل وجودهم فى الوطن الأصلى ألمانيا مقدمًا على غيره .

ولكن على أثر المؤتمر الصهيونى الأول فى سنة ١٨٩٧م نجح الصهاينة الألمان فى تشكيل منظمة توحد صفوفهم أسموها : مؤسسة اليهود الوطنية وكان أول أهدافها : أن اليهود المرتبطين بسلالة واحدة ، ومصير واحد يشكلون مهما تفرقوا مجتمعًا وطنيًا واحدًا ، على أساس أن هذا التعريف لا ينقص أبدًا من الشعور الوطنى لدى اليهود الألمان ، أو من واجباتهم المدنية تجاه الوطن الأم ألمانيا [١] .

---

(١) عقيل هاشم : إسرائيل فى أوربا الغربية ، ص ٥١ .

وفى سنة ١٩١٤م حدث تحول خطير ظاهر من قبل اليهود الألمان الذين تخلوا لأول مرة عن المراوغة فى الخطاب السياسى الصهيونى وأعلنوا فى الاجتماع الصهيونى العام لصهيونى ألمانيا برياسة بلومفيلد إلى عدم اعتبار أنفسهم ألمانًا ، بل يهودًا مائة بالمائة ، ثم ما لبث المتطرفون الصهاينة وغلاتهم أن ازدادوا نفوذًا ، عندما عقدت الحكومة الألمانية تحالفًا مع المنظمات الصهيونية القوية ، خاصة مؤسسة ألمانيا الصهيونية (١) .

ولما خرجت ألمانيا منهزمة من الحرب العالمية الأولى ، قامت الاتحادات الطلابية الاشتراكية والمحافظة بألمانيا بشن حملات مروعة على الصهاينة ، باتهامهم بعدم الولاء للوطن الأم ألمانيا ، وقد وجدت هذه الحملات تجاوبًا مع الشعب الألمانى الذى كان يحس بتجرع الهزيمة فى الحرب العالمية الأولى ، وهذا الإحساس بالهزيمة كان مما سبب فيما بعد عداء النازيين لليهود وتعقبهم ، وإلحاق الأذى بهم ، ولقد وصل هذا العداء غايته فى الثلاثينيات من القرن العشرين ، حينما طبق هتلر السياسة العنصرية على اليهود فيما عرف فى سنة ١٩٣٣م بـ (اللا سامية = العداء لليهود) ، الذى كان موجودًا بدرجات متفاوتة فى كل البلاد الأوربية ، ولم يكن مقصورًا على ألمانيا ، وإن غالى فيه نظام الحكم النازى ، بسبب أن ألمانيا كانت معقلاً مهمًا للنشاط المالى اليهودى ، والنشاط الثقافى فى أوربا ، وكانت أكثر البلاد الأوربية قلقًا من أوضاع اليهود فيها .

كان هذا ظاهر الأمر ، ولكن الحقيقة أن ألمانيا النازية كانت تتعامل بازدواجية فى تعاملاتها مع اليهود فقد فرقت بين اليهود الصهاينة واليهود غير الصهاينة ففى سنة ١٩٣٧م ساعد النازيون على تهجير ٢٦٢ فلاحًا يهوديًا ألمانيًا إلى فلسطين ، حيث أقاموا مستوطنة ومزرعة أسموها Shave Zion ثم أخذ العدد يزيد على التوالى حتى وصل إلى فلسطين ٦٥٠٠٠ (خمسة وستون ألف) صهيونى ألمانى قبل إعلان دولة الكيان الصهيونى من جملة عدد اليهود الذين هاجروا من ألمانيا فى الفترة نفسها إلى أوربا والولايات المتحدة البالغ عددهم ٣١٠,٠٠٠ (ثلاثمائة وعشرة آلاف) (٢) .

---

(١) عقيل هاشم : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٢) سعيد العظم : إسرائيل فى أوربا الغربية ، ص ٢١٥، ٢١٦ .

كان الرأى السائد فى ألمانيا هو ضرورة التخلص من اليهود ، ومع هذا وجدت الفئات اليهودية الصهيونية التى تعمل على تهجير اليهود من ألمانيا عطفًا من النازيين، لأن السلطات النازية كانت حريصة على تخليص ألمانيا من سيطرة اليهود على المراكز التجارية بها ، وكذلك سيطرتهم على التوجهات الثقافية فى ألمانيا ، كما أن السلطات الألمانية النازية كانت تريد تنقية العرق الألمانى حتى لا يختلط بأية أعراق أخرى، وكانت جهود النازية تعمل من أجل تحقيق ذلك فى توجهين متوازيين هما:

التوجه الأول : السماح ـ فى السنوات الأولى للنازية ـ للفئات الصهيونية بممارسة نشاط واسع فى جمع التبرعات لتوفير نفقة تهجير اليهود .

التوجه الثانى : الضغط على الجماعات اليهودية الأخرى ـ أى غير الصهيونية ـ والتضييق عليها ، لإجبارها على الهجرة من ألمانيا .

وبالرغم من أنه بدا فى الظاهر أن اليهود يتعرضون للاضطهاد بقسوة شديدة ابتداء من سنة ١٩٣٨م على أيدى الحكم النازى بألمانيا ، إلا أن التعاون الصامت ظل قائمًا بين النازيين ، والفئات الصهيونية التى كانت تعمل على تهجير فئات معينة من الصهاينة من النافعين فى تأسيس الدولة الصهيونية بفلسطين ، وهذا التعاون أدى إلى إبادة السلطات النازية لعشرات الآلاف من اليهود غير الصهيونيين ، تمت التضحية بهم على عين المنظمة الصهيونية، وبموافقتها ، فى سبيل حل قضية اليهود بألمانيا ، وبالبلاد التى احتلتها السلطات النازية فى أثناء الحرب العالمية الثانية.

ولم يكن هذا الموقف النازى موحدًا تجاه كل اليهود ، بل تجاه اليهود الصهاينة المتعاونين مع النظام النازى ، ومن ثم يجب التفريق بين موقف جميع المنظمات اليهودية فى أوربا التى وقفت مع الحلفاء ، موقفًا صريحًا مؤيدًا لهم ضد السياسة النازية ـ وكان يتقدمه (حاييم وايزمان) رئيس المنظمة الصهيونية .

ولكن الصهاينة التصحيحيين ـ وهم الذين كانوا يمثلون قلة قليلة من اليهود كان لهم مواقف مغايرة إذ تواطؤوا مع السلطات النازية بقيادة هتلر خاصة فى الفترة من سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٤١م، وهؤلاء هم الذين أخذت أعدادهم تزيد ونفوذهم يقوى حتى صارت لهم الغلبة فى دولة الكيان الصهيونى حين تم تأسيسها فى سنة

١٩٤٨م من أمثال بن جوريون ، ومناحم بيجن ، وإسحاق شامير ، الذى كان يطالب صراحة بالتحالف مع هتلر فى مواجهة الحلفاء .

وقد سعى هؤلاء القادة الصهاينة خلال الفترة الفاشية / النازية تحت حكم هتلر وموسولينى سعيًا حثيثًا للتعاون معهما ، إذ إن هدفهم الأساسى لم يكن إنقاذ اليهود من المذابح النازية ، بل كان إنشاء دولة يهودية فى فلسطين ، بانتفاء الفئات التى يتطلبها المشروع الصهيونى فى فلسطين من الأثرياء والشبان الفنيين الأكفاء ، القادرين على تقدير قدرات الجيش الصهيونى بفلسطين ، وفى عبارة قالها بن جوريون أول رئيس لوزراء إسرائيل ما يؤكد هذه الوجهة يقول فيها « ليست مهمة الصهيونى إنقاذ بقية شعب إسرائيل الموجودين فى أوربا، بل إنقاذ أرض إسرائيل، من أجل الشعب اليهودى » (١) .

إن ما ذكر فى الفقرات السابقة،كان من نتائج حوادث اليهود فى ألمانيا النازية، لكن من المفترض ذكر الحالات منذ بداياتها ، لأن مذابح اليهود فى ألمانيا بيد السلطات النازية أفاد اليهود ، كما أفادتهم مذابح فى روسيا القيصرية مذابح (البوجروم Pogrom) ؛ ذلك لأن الصهاينة أنفسهم تعاونوا مع النازى بإرادة كاملة ، من أجل التخلص من بعض اليهود ، ودفع بعضهم باتجاه أرض فلسطين، ولهذا فمنذ الثورة الفرنسية ، وتوحيد كل من : ألمانيا وإيطاليا ، عمل اليهود على تكوين وحدة يهودية فى خلال سير التطور الرأسمالى الإمبريالى الأوربى ، ولم تكن معاداة السامية ، ومذابح التطهير العرقى لليهود فى ثمانينات القرن ١٩ فى روسيا القيصرية ، ثم بعد ذلك بنصف قرن فى محارق النازى Holo Caust إلا مؤذنًا بتحرير اليهود فى أوربا ، ومنحهم الأرض ، بل إن هذه الأحداث لم تكن إلا أطوارًا فى حركة الصهيونية السياسية ، وتكيفها مع الأحداث العدائية من معاداة السامية إلى المذابح والمحارق ، الأمر الذى جعل الصهيونية لا تضادها ، بل تتكيف معها، وتستخدمها استخدام وظيفيًا ماديًا من أجل تحقيق أهدافها الصهيونية.

ولقد أخذت معاداة الجماعات اليهودية فى ألمانيا طريقة مغايرة ، لما كان يحدث

---

(١) انظر : جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٨٥ ، ٨٧ ، ٩٦ .

لليهود فى الأماكن الأخرى فى كل أنحاء أوربا ، فبينما كانت المذابح التى يتم فيها قتل اليهود ناتجة من غضبات شعبية مثلما حدث فى مذابح البوجروم Pogrom فى روسيا مثلاً حيث لم تشترك المؤسسات الحاكمة فيها إلا بعد اغتيال القيصر فى سنة ١٨٨٢م واتهام اليهود بالضلوع بمؤامرة اغتياله ، فإن المذابح التى قامت فى ألمانيا قامت على تخطيط من الحكومة النازية فى ألمانيا، من خلال مكاتب متخصصة لهذا الغرض بالذات ، وكانت النازية مدفوعة فى ذلك ليس بمعاداة اليهود وحدهم، ولكن بمعاداة اليهود وغير اليهود من الأجناس غير الألمانية مثل : السلاف والغجر، وهم غير ساميين .

إذن كان هناك تخطيط متفق عليه بين النازية والصهيونية لإبادة اليهود على أيدى الألمان ، وهذا الاتفاق الذى قام بين النازيين والصهيونيين يقوم على : التمييز بين اليهود النافعين ، واليهود غير النافعين ، وعلى أن تقدم الصهيونية اليهود غير النافعين للنازية لكى تتم إبادتهم ، مقابل أن تسمح النازية بمرور اليهود النافعين من ألمانيا ، والبلاد الأوربية التى تسيطر عليها الجيوش النازية خاصة فى بولندا إلى أرض فلسطين للاستيطان بها .

وقد عرف هذا الاتفاق ، باتفاق (هاعفيراه) بين (أدولف إيخمان) مندوبًا عن الحكومة النازية ، و(كوستلر) الصهيونى مندوبًا عن الحركة الصهيونية ، ومن ثم فقد كان النازيون فى هذا الاتفاق صهاينة أكثر من الصهيونيين أنفسهم . ولهذا يتساءل المسيرى : هل يطلق مصطلح الصهيونية Zionism على المشاريع النازية المختلفة للتخلص من اليهود فى أوربا ؟ وهل يمكن التحدث عن النازيين كصهاينة ؟ إن هذا نفسه ما فعله النازى : أدولف إيخمان فى أثناء محاكمته ، فقد أشار إلى نفسه باعتبار أن اليهود شعب بلا أرض ، أما الأرض الراسخة فهى أرض فلسطين = أرض بلا شعب [١] . بزعم الاستعمار والصهيونية .

ولقد سارت المواقف الألمانية من المشكلة اليهودية على الوجه التالى :

١ ـ حاول تيودور هرتزل أن يقنع السلطان عبد الحميد السلطان العثمانى إذ

(١) عبد الوهاب المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٦/ ١٣ .

كانت أرض فلسطين تابعة للدولة العثمانية ، بمنح فلسطين لليهود كولاية ذات حكم ذاتى تابعة للدولة العثمانية فى مقابل أن تدفع المنظمة الصهيونية كل ديون الدولة العثمانية ، ولكن السلطان عبد الحميد ـ يرحمه الله ـ لم يشأ أن يفرط فى جزء من أرض الدولة .

٢ ـ بحث هرتزل عن قوة ضغط ، لكى تضغط على السلطان عبد الحميد من بين القوى الأوربية فى مقابل أن يكون لها السيطرة على ولاية فلسطين ، ويكون الصهاينة عملاءها فى داخل الدولة العثمانية ، بل فى قلب العالم الإسلامى ، ورأى بغيته فى قيصر ألمانيا غليوم الثانى صديق السلطان العثمانى ، الذى راقت له الفكرة ، فقد كان يعتقد أن يهود ألمانيا يعملون ضمن الحركة الاشتراكية الديمقراطية بألمانيا ضد الحكومة القائمة، وأنهم نشطون فى ذلك، وأن الفرصة ـ كما بدت له ـ مواتية لنقلهم إلى فلسطين ، فيستريح منهم ، واتفق الإمبراطور غليوم الثانى مع هرتزل أن يلقاه بالقسطنطينية فى يوم ١٩ أكتوبر ١٨٩٨م لمقابلة السلطان ومناقشته فى الأمر ، ولكن فشلت هذه المساعى أيضًا بالرغم من صداقة السلطان العثمانى لغليوم الثانى ، وإخلاص هذا الأخير فى مساعدة اليهود بتكوين شركة امتياز تحت الحماية الألمانية ، تقوم بتفريغ ألمانيا من اليهود ونقلهم إلى فلسطين ولكن مع إخلاص كل من هرتزل ، وغليوم الثانى ، فقد فشلت مساعيهما لأن السلطان لم يوافق .

بالإضافة إلى ذلك فإن وزير خارجية الحكومة الألمانية كان متأكدًا من أن يهود ألمانيا وقتئذ لن يتركوا ألمانيا بإرادتهم أبدًا .

٣ ـ كان خريجو الجامعات الألمانية من الصهاينة الذين تولوا الحركة الصهيونية بعد موت تيودور هرتزل ذوى أيديولوچية عنصرية يهودية انفصالية ، وكانوا متأثرين بمثلهم الأعلى من الألمان العنصريين فى جامعات ألمانيا من قبل سنة ١٩١٤م الذين كانوا يرفضون اليهود لأنهم ليسوا من دم ألمانى (تيوتونى) ومن ثم فيمكن القول بأن العنصريين الصهاينة ، كانوا يحذون حذو العنصريين الألمان ، ويتابعون خطواتهم خطوة خطوة ، ومن هنا فقد تبنى قسم كبير من يهود ألمانيا أيديولوچية

(الطيور الجوالة) العنصرية بشكل كامل ، ولكن بتعبيرات صهيونية فوافقوا المعادين للسامية فى نقاط رئيسية أهمها :

١ ـ اليهود ليسوا جزءًا من الشعب الألمانى ، ومن ثم فلا يجب أن يختلط اليهود والألمان عرقيًا (بالتزاوج) لا لأسباب دينية ، ولكن من أجل تفرد دم كل منهم ، واختلافه عن دم الآخر ، ولأن اليهود ليسوا من الدم (التيوتونى) فإنهم بحكم الضرورة ، لابد أن يكون لهم تراب خاص بهم فى فلسطين [١] .

ولقد غذت هذه الأفكار أبحاث العلماء اليهود خاصة من أصحاب الثقافة الألمانية من أمثال مارتن بوبر (١٨٧٨ ـ ١٩٦٥م) الذى كان لا يزال يعيش فى ألمانيا فى كتابه : ثلاث مقالات عن اليهودية الذى نشر فى سنة ١٩١١م فقد قال : إنه اليهودى يسعى فى خلق الأجيال رابطة من الدم ، تشعره بأنها أسلاف ذاته ، وحافظتها فى الماضى اللانهائى . . . إن الدم قوة تغذية عميقة الجذور داخل الإنسان الفرد ، وإن الطبقات الأعمق لكينونتنا يحددها الدم كما يلون دخائل تفكيرنا وإرادتنا، والآن يجد أن العالم من حوله هو عالم الانطباعات والتأثيرات ، فى حين أن الدم هو جوهر مادة قادرة على أن تنطبع وتتأثر ، مادة تمتص وتتمثل الكل فى شكلها هى ، وأى إنسان يواجه الخيار بين البيئة والمادة ، ويقرر اختيار المادة سيكون عندئذ يهوديًا حقيقيًا فى داخله،وسيعيش كيهودى مع كل التناقضات، وكل المأساة ، وكل ما يعد به دمه للمستقبل [٢] .

وبسبب كل هذه الحالات التى أحاطت باليهود برزت مشاعر عند اليهودى بأن اليهودى يمثل عرقًا متميزًا ، كما يمثل الألمانى عرقًا متميزًا . ولما ظهر أن الألمان يعادون اليهود فيما أطلق عليه اليهود بمعاداة السامية ، برزت مشاعر معاداة السامية من اليهود أنفسهم لأنفسهم ، وزكت الصهيونية هذه المشاعر ورفعت نداء : لكى تكون صهيونيًا مبرزًا يجب أن تكون معاديًا للسامية فى الوقت نفسه ، لأن معاداة السامية ستصحب اليهود أينما ذهبوا ، ولذلك فإن السبب الجذرى لمعاداة السامية

---

(١) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ٣٩ .

(٢) لينى برينر : المرجع السابق ، ص ٤٥، ٤٦ نقلاً عن : تاريخ الصهيونية ، ص ٥٠٠ .

هو المنفى ، وشعورهم بالإلغاء من أصحاب البلاد التى يحلون بها « ولقد سأل والتر لاكِيرْ Laqueur عميد المؤرخين الصهاينة فى كتابه (تاريخ الصهيونية) عما إذا كان الإصرار الصهيونى على طبيعة معاداة السامية لم يكن سوى وضع (الخطة) فى طواحين الدعاية النازية ؟ أجاب : لقد كانت كذلك بالتأكيد .

« وإن أفضل سؤال يعلق على سؤال لاكِيرْ هو السؤال التالى : « هل كان من الصعب فهم موقف قارئ ساذج لجريدة نازية استخلصت أن ما يقوله النازيون، ويوافق عليه الصهيونيون ، لابد أن يكون صحيحًا ؟! » (١) .

« وهناك ما هو أسوأ : إن أية حركة يهودية تهذى بطبيعة معاداة السامية ، سعت بالقدر نفسه للوصول إلى اتفاق مع النازيين عندما وصلوا إلى السلطة ».

وعلى خطا العنصريين الألمان ، فإن الصهاينة الألمان، هم الذين صاغوا بصورة تكاد تكون كاملة ، الأيديولوچية الصهيونية العالمية من قبل سنة ١٩١٤م وهى التى سارت عليها الصهيونية العالمية حتى حققت تكوين الكيان الصهيونى ، وإلى الآن.

نعم إن النازية معادية لليهود ، ولكن عندما تجلس مع الصهيونية لحل المسألة اليهودية فإن العواطف لن تتحكم ، ولكن الواقعية التى تهم الطرفين ، وتهم الشعب الألمانى بصفة خاصة ، وأن التوفيق بين المتضادين : النازية والصهيونية يقوم على أساس أن دولة تقوم على مبدأ نقاء العرق المتميز التيوتونى ، يجب أن تقف بجانب اليهود الذين يعدون أنفسهم عرقًا متميزًا أيضًا ، وهذا ما جعل الألمان يسعون إلى تهجير اليهود إلى فلسطين ويساعدون اليهود على تقوية طابعهم القومى ويعلون من شأنه .

كان شعار معاداة السامية فى أوربا : اركلوهم إلى فلسطين ، ولقد استعمل النازيون الشعار نفسه فى سنة ١٩٣٢م وفى أول أبريل سنة ١٩٣٣م قامت تظاهرة معارضة لليهود كان المتظاهرون يوزعون على من تبدو سحنته يهودية صورة تذكرة ذهاب بدون عودة إلى فلسطين .

وقد زكى هذه المظاهرات من جانب النازيين ضد اليهود ، موجة التحذير من

---

(١) لينى برينر : المرجع السابق ، ص ٥١ .

انهيار الاقتصاد الألمانى ، وخوف من وقوع تحول شيوعى فى ألمانيا ، وفى هذه الأثناء وعواصف السياسة تهز ألمانيا ، وصل هتلر إلى الحكم ، مما أثر على وضع الصهيونية فى ألمانيا ، كما أثر على مصير التهجير إلى أرض فلسطين ، لأن ضغط هتلر زاد على اليهود وبالتالى زادت هجرتهم إلى فلسطين .

مسألة اليهود فى ألمانيا بعد استيلاء النازيين على الحكم :

بعد وصول النازيين إلى الحكم فى ألمانيا بدأ تقسيم اليهود فى ألمانيا إلى فئتين هما :

١ ـ الصهاينة .

٢ ـ التمثيليون .

ومع أن هتلر كان يكره جميع اليهود ، كما كان يكره جميع الشيوعيين ، وكان يكره أولئك وهؤلاء أكثر مما كان يكره الإنجليز وبقية الحلفاء ففى الفصل ١٥ من الجزء ٢ من كتاب كفاحى ؛ وعنوانه : « حق الدفاع الشرعى » ، وفيه يعيد هتلر إلى الأذهان ما فعله الإنجليز بقتل مئات الألوف من الألمان بالغازات السامة فى الحرب العالمية الأولى . يقول « هتلر » لو كان قد تم فى بداية الحرب أو خلالها ، الزج دفعة واحدة باثنى عشر ألفًا ، أو خمسة عشر ألفًا من هؤلاء العبريين المفسدين للشعب [يقصد اليهود الألمان] فى مرمى الغازات السامة التى تعرض لها على الجبهة مئات الألوف من خيرة عمالنا الألمان من مختلف الأصول والمهن ، لما ذهبت تضحيات ملايين الرجال سدى ، بل لو كان قد تم التخلص فى الوقت المناسب من أولئك السَّفلة الاثنى عشر ألفًا [عدد يهود ألمانيا فى بداية القرن العشرين] ، لأمكن إنقاذ حياة مليون شخص من خيرة الألمان الشجعان الواعدين .

وفى خطاب فى ١٩٣٩/١/٣٠م يقول « هتلر » : « إذا نجحت دوائر المال اليهودية العالمية ، داخل أوربا وخارجها فى دفع الشعوب من جديد إلى أتون حرب عالمية ، فلن تكون النتيجة انتصار اليهودية ، وبوسع اليهود أن يواصلوا حملاتهم الضارة ، متحصنين فى ذلك بنفوذهم فى مجالات الصحافة ، والسينما، والإذاعة، والمسرح، والأدب وغيرها. أما إذا نجح هذا الشعب [اليهودى] مرة أخرى

فى الزج بملايين البشر إلى صراع عبثى خالص ، وإن كان ينطوى على مكاسب للمصالح اليهودية ، فسوف يكون ذلك برهانًا على فعالية العمل الذى يؤدى فى غضون سنوات قلائل إلى القضاء على اليهودية قضاء مبرمًا فى ألمانيا وحدها » .

وتزخر وصية هتلر السياسية التى نشرتها محكمة نورمبرج العسكرية الدولية بعبارات مماثلة إذ يقول : « لكننى فيما ذكرت آنفًا لم أدع أدنى مجال للشك فى أنه إذا ما عاود أولئك المتآمرون الدوليون فى الدوائر المالية والتمويلية معاملة شعوب أوربا ، كما لو كانت مجرد رزم للأسهم المالية ، فسوف يتعين على هذا الشعب الذى يعد المجرم الحقيقى فى ذلك الصراع الدامى ، أن يدفع الثمن باهظًا وأعنى بذلك اليهود .

إننى لم أدع لأحد أدنى شك فى حقيقة المصير الذى ينتظره ، وهو نفس مصير ملايين الأطفال من أبناء الشعوب الآرية الأوربية الذين ماتوا جوعًا، وملايين الرجال والشباب الذين لقوا حتفهم ، ومئات الألوف من النساء والأطفال الذين حرقوا من جراء قصف مدنهم بالقنابل ، ولابد للمجرم أن يلقى عقابه ، وإن تعين تحقيق ذلك بوسائل أكثر إنسانية » (١) .

فهم برأى « هتلر » مثيرو فتن سياسية وأزمات اقتصادية ، من أجل السيطرة على رأس المال فى العالم ، وهم عرق غير آرى ينظر إلى الشعوب الآرية على أنها مجرد رزم من الأسهم المالية فى الدوائر المالية والتمويلية التى يسيطرون عليها ، وهم من أجل الحصول على المال يزجون بشعوب أوربا فى حروب مدمرة ، ويظهرون أمام العالم البراءة والضعف الإنسانى ، يحصنهم تفوقهم فى مجالات : وسائل الإعلام والدعاية ، فيضفون الشرور على غيرهم ، والبراءة على أنفسهم ، لذلك فقد كان هتلر بكراهيته لليهود يحاول أن يحقق مجدًا لبلده ألمانيا ، ولم يكن يكذب على نفسه ولم يخدعهم ، فى الوقت الذى خدع اليهود فيه أنفسهم ، بالتركيز على نقاط التشابه بينهم وبين النازيين ، فى أن كل منهم ينتمى إلى عرق متميز ، ولأن الصهاينة بجانب ذلك كانوا متمسكين بنزعتهم العرقية ، ورغبتهم فى

---

(١) ارجع إلى : جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ١٢٥ ـ ١٢٧ .

الهجرة إلى فلسطين للمساعدة فى إقامة الكيان الصهيونى، فقد تجاوب هتلر مع هذا التوجه وأبدى رغبة واستعدادًا فى تقديم المساعدة لهم، وتشجيعهم على الهجرة .

ولم يكن هتلر يحس بخطورة الصهيونية على سياسته ، وكان يشعر فى قرارة نفسه ، بأنهم أحد العوامل المساعدة على تنفيذ مخططه من تطهير الأرض الألمانية، وأية أرض تسيطر عليها القوات النازية فى أوربا ، وكان الصهاينة فى الوقت نفسه متوافقين مع هذه السياسة ، ولهذا كانوا من أهم العناصر التى رحبت بهتلر عندما تولى السلطة فى ألمانيا فى يناير سنة ١٩٣٣م ، وكان هذا الترحيب ترحيبًا صهيونيًا عامًا شمل كافة فئاتهم الدينية والسياسية والفكرية .

فعلى المستوى الدينى فقد قال الحاخام يواكيم بدنز : إنه لا مكان لليهود لكى يختبئوا فيه ، ويقصد بذلك أن النازى قد حررهم من كل مخابئهم فى الجيتوات. وقال أيضًا : إننا نرى نحن الصهاينة أنه يجب الاعتراف بالأمة اليهودية والعرق اليهودى ، بدلاً من الاندماج فى الشعوب الأخرى .

كما صرح الروائى اليهودى الألمانى إميل لودفيج بأن ظهور النازيين دفع بالآلاف من اليهود الذين كانوا قد خرجوا من حظيرة اليهودية، إلى حظيرة اليهودية مرة أخرى ، ولذا فأنا شخصيًا ممتن لهم .

وقال الشاعر الصهيونى حاييم بياليك : « إن سياسة هتلر أنقذت يهود ألمانيا ، وأنا مثل هتلر أومن بفكرة الدم » .

وبعد ستة أشهر من تولى النازى الحكم فى ٢١ يونيو سنة ١٩٣٠م كانت المنظمة الصهيونية الرسمية ، كانت قد حددت موقفها الرسمى من السياسة النازية بإعلان الاتحاد الصهيونى الألمانى الرسمى طبيعة العلاقة بين الصهيونية والنازية ومما جاء فى هذا الإعلان :

١ ـ إن المنظمة الصهيونية بألمانيا توافق على المبادئ الأساسية للحزب النازى فى سياسة الدولة الألمانية .

٢ ـ إن وجود اليهود بألمانيا لا ينفى كونهم قومية مستقلة ، توجد خارج أرضها الطبيعية ، ولهذا فإن وجود اليهود بألمانيا لا يوافق رغبتهم فى دولة البعث

القومى ، لأن الشخصية اليهودية طبعت على أخلاقيات تتباين مع تقاليد الدولة التى يوجدون فيها .

٣ ـ نؤكد أن هناك نقاط اتفاق بين الصهيونية والنازية ، فكل منهما تمزج الدين بالقومية ووحدة المصير ، والوعى الجمعى ، وأن كل منهما يعول على العرق ، وعدم خلط الدم أو اختلاطه .

٤ ـ ما دام كل من اليهود والألمان لهم تمايزاتهم الخصوصية ، فلما لا توضع هذه الفروق فى الإطار العملى أى الإطار القومى العرقى،وهذا يعنى بعبارة أوضح تفريغ ألمانيا النازية من اليهود ، ووضعهم فى دولة تجمع قوميتهم بفلسطين .

٥ ـ إن الصهيونية أميل إلى التعاون مع حكومات معادية لليهود عرقيًا عند تناول المسألة اليهودية ، لأن ذلك سيعجل بتفريغ الدولة الأوربية منهم .

٦ ـ الحركة الصهيونية مستعدة لتقديم خدماتها للحكومة النازية بالعمل على ترويج البضائع الألمانية فى العالم [١] .

وبهذا يستبين متانة العلاقة بين الصهيونية والنازية ، وكيف أن هذه العلاقة لم تكن علاقة عاطفية تظلها المشاعر الطيبة ، ولكنها كانت علاقة تبادل المصلحة ، فالنازية وإن كانت تكره اليهود بصفة عامة،فإن كلا من النازيين والصهاينة متأكدون من ذلك ، وهى كراهية منهجية ، كان الصهاينة أكثر رغبة فيها لأنهم يفيدون منها فى تحقيق أغراضهم السياسية ، فضلاً عن أنها الطريقة المثلى لتفريغ الأراضى الأوربية منهم ، والاعتراف بهم على أساس أنهم أمة قومية ، ذات عرق قومى ، يمكن توطينهم بأرض فلسطين .

وكان الصهيونيون يثقون فى سياسة هتلر ، فهو غير مخادع ، وهو الوحيد من بين رؤساء الحكومات الأوربية الذى أقام مشروع تهجير اليهود على أسس صهيونية، على أساس القومية الصهيونية المستقلة ، وعليه فقد كان النازيون يرسلون فى كل سنة عددًا من اليهود الألمان النافعين لتأسيس الدولة الصهيونية القومية إلى أرض فلسطين ، بحسب خطة محسوبة ، كما سمحوا فى الوقت نفسه للصهاينة داخل

(١) لزيادة التفاصيل ارجع إلى المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ٢/٤٦٢ ـ ٤٦٤ .

ألمانيا أن يمارسوا أنشطتهم السياسة ، ومن ثم فقد كانت المنظمة الصهيونية فى ألمانيا هى التنظيم الوحيد غير النازى الذى يمارس نشاطه السياسى، ويصدر النشرات والمجلات التى تدعو إلى الحل النهائى للمسألة اليهودية ، بالطريقة التى يراها الحزب النازى . كما سمح لهم بإقامة نشاط حزبى صهيونى ، وجمع التبرعات اللازمة لأجور نقل المهجرين إلى أرض فلسطين وتوطينهم بها ، كما قام الحزب النازى بتدريب بعض الصهاينة على الزراعة ، والحرف اليدوية ، أى إعدادهم بما يتوافق مع الحياة الجديدة فى فلسطين بعد تهجيرهم .

وهكذا سمح هتلر للصهاينة فى ألمانيا ، وفى كل الأراضى التى سيطرت عليها الجيوش النازية أن يعلنوا عن الصهيونية السياسية التى تدعو صراحة إلى إقامة دولة قومية .

وبموجب الاتفاق بين النازية والصهيونية ، ونظير خدمات النازية للصهيونية أن تساعد الصهيونية هتلر فى حرب إبادة اليهود غير النافعين للنازية والصهيونية على السواء .

وتؤكد التقارير النازية الطريقة التى تفاهمت بها الصهيونية مع النازية فى تقديرهما للمسألة اليهودية . ففى ربيع سنة ١٩٣٤م تلقى هنريش هملر رئيس قوات لإس إس S. S. تقريرًا من جهازه عن موقف الحكومة النازية من المسألة اليهودية يقول: إن الأغلبية من اليهود غير الصهاينة فى ألمانيا لا يزالون مصممين على البقاء فى ألمانيا ، وطالما إن استخدام القوة غير ممكن من أجل تهجيرهم خوفًا من المترتبات الدولية المحتملة ، فإن الطريقة التى يجب استعمالها لتحطيم مقاومتهم هى غرس هوية يهودية متميزة بينهم [مثلما يفعل الحزب النازى مع الشبيبة الألمانية] بالتشجيع المنظم للمدارس اليهودية ، والفرق الرياضية اليهودية ، والفن والموسيقى اليهوديين ، واللغة العبرية ، بالاشتراك مع إعادة التدريب المهنى للصهيونية ، وإن ذلك سيحفزهم للهجرة إلى الوطن القومى ، لذلك كانت السياسة النازية تجاه اليهود غير الصهاينة أن يقدموا دعمًا زائدًا للصهيونيين بحيث يمكن لليهود غير الصهيونيين أن يعرفوا جيدًا أن الطريق الوحيد لتحاشى المشاكل السيئة فى ألمانيا ، هو الالتحاق بالحركة الصهيونية ، ومع أن اليهود كلهم ظلوا يضطهدون كيهود ،

فإنه كان فى إطار الالتحاق بالحركة الصهيونية الألمانية كان من الممكن تخفيف الضغط ، ففى ٢٥/ ١/ ١٩٣٥م أعلن جهاز الجستابو أن السياسة التى ستتخذ حيال اليهود من الآن فصاعدًا على أساس أن أعضاء المنظمات الصهيونية ـ نظرًا لنشاطاتهم الموجهة نحو الهجرة إلى فلسطين ـ لا يعاملون بنفس الحزم اللازم تجاه أعضاء المنظمات اليهودية الألمانية التمثيليين (١) .

ولكن برزت مشكلة معقدة تلك التى صنعتها النازية بمساعدة الصهيونية ، ذلك بأن النازية كانت تعمل من أجل تهجير اليهود من ألمانيا ، وكانت المنظمة الصهيونية فى ذلك الوقت نفسه تحتاج إلى أموال اليهود الألمان المقيمين فى داخل ألمانيا ، أكثر من حاجتها إلى تهجير يهود ألمان إلى فلسطين ، أغلبهم غير صهاينة ، ولا يتحدثون العبرية ، كما لم يكونوا أصحاب حرف نافعة ليهود المهجر فى أرض فلسطين .

كان المال فى ذلك الوقت هو حاجة المنظمة الصهيونية الحقيقية ، من أجل تنظيم حصص الهجرة التى وضعتها بريطانيا لتهجير اليهود إلى فلسطين خاصة من بولندا .

ولكن قادة المنظمات الصهيونية الذين كانوا يفضلون الحلول العملية ، ولو أدى ذلك لإبادة آلاف من اليهود غير الصهيونيين ، كانوا ينظرون بعين الرضا للسياسة النازية ، وبالتالى إلى الخدمات التى قدمها الحزب النازى بقيادة هتلر لليهود الصهاينة ، ولهذا فإن بن جوريون الزعيم الصهيونى العمالى المشهور أعلن صراحة فى يوم ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٧م : أن المسألة اليهودية لم تعد مشكلة آلاف اليهود المهددين بالإبادة ، فأهم منها مسألة قيام الوطن القومى الصهيونى، ثم قال: إذا استولت الرحمة على شعبنا ، ووجه طاقاته إلى إنقاذ كل اليهود فى مختلف البلاد ، فإن ذلك سيؤدى إلى محو الصهيونية من التاريخ ، وفى سنة ١٩٣٨م أكد آراءه السابقة بقوله : لو تأكدت أنه بالإمكان الاختيار بين إنقاذ كل أطفال اليهود فى ألمانيا بتوطينهم فى إنجلترا ، فى مقابل نقل نصفهم فقط إلى أرض فلسطين ،

---

(١) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الدكتاتورية ، ص ١١٥، ١١٦ ، نقلاً عن كورت جروسمان: الصهاينة غير الصهاينة تحت النازية منذ سنة ١٩٣٠م ، ص ٣٤٠ .

فإنى أفضل الخيار الثانى ، إذ يتعين علينا أن نأخذ فى الاعتبار تاريخ شعب يسرائيل بأثره ، قبل حياة هؤلاء الأطفال .

وكان إسحاق جرو نباوم رئيس لجنة الإنقاذ بالوكالة اليهودية مؤيداً لديفيد بن جوريون ، وكان أكثر منه غلواً عندما قال فى ١٨ من فبراير سنة ١٩٤٣م ـ وكانت المذابح النازية لليهود قد بلغت أقسى مراحلها خاصة فى بولندا : إن بقرة واحدة فى فلسطين أثمن من كل اليهود فى بولندا (١) .

كانت المنظمة الصهيونية تهتم بتهجير فئات محددة إلى أرض فلسطين يكون لهم دور مهم فى إقامة الكيان الصهيونى ، فكانت لا تهتم إلا بالشباب القادر على المشاركة فى بناء مستقبل صهيونى فى الأرض الموعودة، والقادر على حمل السلاح وشن الحرب على العرب فى أى وقت ، القادر على مواصلة العمل الشاق . وكانت المنظمة الصهيونية فى غاية الصراحة ، وهى تتفاوض مع النازية لكى تقدم المساعدة للصهيونيين فى هذا الإطار النافع لهم ، وكان حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية قد بث هذه الفكرة فى العقل الصهيونى وقلبه منذ السنة الأولى التى تولى فيها الحزب النازى حكم ألمانيا بقيادة هتلر فقال: «إن العجائز سيموتون، وسيتحملون مصيرهم فى التراب ، وينبغى لهم ذلك » (٢) .

وفى عبارة حاييم وايزمان بصفته رئيس المنظمة الصهيونية ، أى بصفته ممثل كل الصهاينة فى العالم . إعلان مسؤول عن اتفاق موثق بين المنظمة الصهيونية والنازية يتم بمقتضاه أن تقوم المنظمة الصهيونية بتسليم المسنين من اليهود ، والعجزة والمعاقين ، وغير النافعين بصفة عامة للنازى لكى تتم إبادتهم ، على أن يقوم النازى بتمرير عدد يتفق عليه من الشباب الصهيونى النافع فى الحياة الجديدة فى أرض فلسطين ، لإقامة الكيان الصهيونى .

ولقد وجد ذلك ارتياحًا من النازى ، الذى كان يعرف عمق التباين بين الصهيونى صاحب الأهداف ، واليهودى التمثلى ، ذلك لأن الصهيونى مثله كمثل

---

(١) جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٨٨ ، دار الشروق ـ القاهرة فى سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م ، والمسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ٢/ ٤٦٥ .

(٢) المسيرى : المرجع السابق نفسه ٢/ ٤٦٥ .

النازى يدرك واقعه من خلال إطار عرقى قومى ، وذلك على النقيض من اليهودى غير التمثلى الذى يندمج فى الشعوب الأوربية ، ويعيش بين ظهرانيها ، ويظل يتمسح فى هذه الشعوب التى تعتبره جنسًا غريبًا عنها دنيء الأصل ، حبيس يهوديته المنغلقة المنفرة ، ولم تكن النازية تفرق فى احتقارها لليهود ونفورها منهم خاصة اليهود الأرثوذكس (الخاخاميين) ، واليهود الإصلاحيين التملثيين الاندماجيين ، وإن كانت فى الوقت نفسه تتفهم موقف اليهود الصهيونيين الذين لا يطالبون إلا بحق السماح لهم بالهجرة إلى الوطن القومى بفلسطين .

وينقل رجاء جارودى عن وثائق يهودية أن إنقاذ يهود أوربا لم يكن يشغل موقع الصدارة فى قائمة الأولويات بالنسبة للنخبة القيادية للصهيونية ، فقد كان همهم الأول هو : تأسيس الدولة الصهيونية ، ويذكر على لسان أحد الصهاينة ما يلى:

« إنه يجب علينا ألا نمد يد العون إلى جميع من يحتاجون إلى العون ، دون أن نأخذ فى الاعتبار خصائص كل منهم ؟ أليس من الواجب علينا أن نضفى على هذا العمل طابعًا قوميًا صهيونيًا ، وأن نعطى الأولوية لإنقاذ أولئك الذين سيفيدون أرض إسرائيل ؟ علينا أن نعترف صراحة أنه لو كان بوسعنا الاختيار بين إنقاذ عشرة آلاف شخص من بين الخمسين ألف شخص الذين يمكنهم المشاركة فى بناء الوطن، وفى البعث القومى ، أو إنقاذ مليون يهودى ليصبحوا عبئًا على كاهلنا ، أو على الأقل كتلة منعدمة ، فإن من الواجب علينا أن نقصر جهودنا على إنقاذ العشرة الآلاف شخص ، وذلك بغض النظر عن الاتهامات ، أو المناشدات التى يطلقها المليون شخص الذين تركوا » [1] من الوجهة الإنسانية .

إن إنشاء الدولة الصهيونية القومية كان عند الصهاينة مقدمًا على أرواح اليهود، كل اليهود الذين لا يفضلون الهجرة إلى « إرتس يسرائيل » أى إنقاذ إرتس يسرائيل

---

(١) رجاء جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٨٨، ٨٩. تعريب محمد هشام، دار الشروق ـ القاهرة فى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م عن مذكرة « لجنة الإنقاذ » فى الوكالة اليهودية ١٩٤٣م .

من أجل الشعب اليهودى وكان لابد من وجود حلقات وصل بين الصهاينة والنازيين ، وكانت عقيدة نقاء الدم عند كل من النازيين . والصهاينة هى حلقة الوصل التى جعلت النازيين ينظرون إلى الصهاينة على أنه من الممكن أن يكونوا طرفًا فى التفاهم ، أو بمعنى أصح التواطؤ بين الصهيونية والنازية » ففى ٢١ من يونيو سنة ١٩٣٣م وجه الاتحاد الصهيونى الألمانى مذكرة إلى الحزب النازى ، أعلن فيها ما يلى :

« نأمل أن يؤدى إنشاء دولة جديدة ، تقوم على أساس عرقى ، إلى تكيف جماعتنا معها ، فإقرارنا بوجود قومية يهودية ، يتيح لنا إقامة علاقات سليمة وصادقة مع الشعب الألمانى بأوضاعه القومية والعرقية ، ذلك لأننا لا نريد أن نقلل من أهمية المبادئ الأساسية كما أننا نرفض الزواج المختلط ، وننادى بالحفاظ على نقاء الجماعة اليهودية ، وبوسع اليهود الواعين بهويتهم (الصهاينة) والذين نتحدث بالنيابة عنهم أن يجدوا لأنفسهم مكانة لدى الدولة الألمانية ، لأنه لا توجد لديهم مشاعر الكراهية التى يكنها اليهود المندمجون لا محالة ، ونحن على يقين من إمكان قيامة علاقات طيبة بين الدولة الألمانية ، واليهود الواعين بالروابط التى تجمعهم بها .

ولتحقيق هذه الأهداف العملية ، تأمل الحركة الصهيونية أن يكون بوسعها التعاون مع حكومات معادية تمامًا لليهود ، هذا مع العلم بأن الدعوات اليهودية المطالبة بمقاطعة البضائع الألمانية فى الوقت الراهن ، ليست صهيونية .

« وإنه فى حالة موافقة الألمان على التعاون ، فسوف يبذل الصهاينة قصارى جهدهم لإثناء اليهود فى الخارج عن الاستجابة لدعوات المقاطعة الموجهة ضد ألمانيا » [١] .

ولهذا فإن الأمر كما نقل د. المسيرى عن كورت جروسمان فى كتاب هرتزل السنوى الجزء الرابع تحت عنوان : اليهود الصهاينة ، وغير الصهاينة تحت حكم النازى فى الثلاثينيات ، وفيه ثمانى وثائق نازية تحمل كلها توجيهات للشرطة خاصة

(١) جارودى : المرجع السابق نفسه ، ص ٩٠ ، ٩١ نقلاً عن مصادر صهيونية .

بتنظيم النشاط اليهودى فى ألمانيا النازية ، وأول هذه التوجهات : صادر برقم ٣٦٤٢٠/ ٨١١٣٤ عن الشرطة السياسية فى بافاريا بتاريخ ٢٨ يناير سنة ١٩٣٥م جاء فيه : « إن بعث المنظمات الصهيونية التى تدرب شباب اليهود تدريبًا مهنيًا على الزراعة والحرف قبل تهجيرهم إلى فلسطين أمر مهم فى صالح الدولة النازية » .

كما صدر التصريح رقم ١٣٥/٩٠٥٢ أ ب للمنظمات الصهيونية فى التاسع من يوليو سنة ١٩٣٥م بجمع التبرعات من أجل تشجيع الهجرة ، والاستقرار فى فلسطين ، وشراء الأراضى هناك ، لأن هذه التبرعات تساهم فى الحل العملى للمسألة اليهودية ، وهناك ما يشير إلى أن الجستابو ، وفرق الـ إس . إس (الصاعقة) ساعدت فى تهريب الصهاينة إلى أرض فلسطين [١] .

ومع أن الألمان كانوا يريدون كسب العرب ، خاصة وأن إنجلترا أكبر خصومها الأوربيين كانت تحتل بلادًا عربية وتضمها ضمن نفوذها فى المنطقة العربية ، بوابة الوصل بين أوربا وآسيا ، إلا أن النزعة العرقية عند الألمان خاصة عند النازى الأكبر هتلر ، كانت تقف دون تحقيق أحلام النازى فى كسب العالم العربى ، ويعبر هتلر بنفسه عن هذه النزعة العرقية التى تقسم الشعوب إلى شعوب ذات طبيعة عرقية راقية ، وأخرى ذات طبيعة عرقية دنيئة . فيقول فى كتاب كفاحى : « إننى كإنسان من الدم الألمانى أفضل بالرغم من كل شىء أن أرى الهند تحت الحكم الإنجليزى من أن تكون تحت أى حكم آخر ، وبنفس الدرجة فإن الآمال فى أى انتفاضة خرافية فى مصر ضد الإنجليز ، هى مجرد آمال مؤسفة ، إننى كإنسان قومى يقدر قيمة الإنسان على أساس عرقى ، فإن مجرد معرفتى بالدونية العرقية لأولئك الذين يسمونهم الأمم المقهورة يمنعنى من أن أربط مستقبل شعبى بمستقبلهم » [٢] .

وعلى هذا فإن العرق العربى والهندى واليهودى كلها بحسب نظرة النازى إليها أعراق دنيئة ، قمينة بأن يحتقرها النازى ، وأنه يفضل أن تظل مقهورة من دولة مثل إنجلترا ـ ألد أعدائه .

---

(١) المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ٢/ ٤٦٥، ٤٦٦ ، وانظر جارودى : الأساطير، ص ٩٣ .

(٢) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ١٢٢ نقلاً عن : كتاب كفاحى لهتلر ، الطبعة الألمانية ، ص ٦٥٨ ، ٦٥٩ .

وهناك وثيقة تؤكد هذه الصورة التى انطبعت فى نفس هتلر ، ففى الأول من يونيو سنة ١٩٣٧م أرسل وزير خارجية ألمانيا : قسطنطين فون نويْرات إلى دبلوماسيين فى لندن والقدس وبغداد وكانت القدس وبغداد تحت الاحتلال البريطانى برقية نصها : « لا الدولة الصهيونية ، ولا أية بنية سياسية صهيونية تحت الحكم البريطانى ، تمثل أدنى اهتمام لحكومات ألمانيا ، لأنها لن تمتص يهود العالم، ولكنها فقط ستخلق موقع سلطة إضافية لليهودية الدولية فى ظل القانون الدولى بشىء ما مثل : دولة الفاتيكان للكاثوليكية السياسية ، أو موسكو للكومنترن ، لذلك فإن ألمانيا لها مصلحة فى تقوية العالم العربى ، ولكن لا يجب التوقع بأن التدخل الألمانى المباشر يمكن أن يؤثر بشكل جوهرى على المسألة الفلسطينية ، ولا يجب أن يحصل الفلسطينيون فى ظل كل الظروف على أكثر من التأييد اللفظى ، يجب التعبير عن تفهم الطموحات القومية العربية بشكل أكثر وضوحًا من ذى قبل، ولكن دون إعطاء أى وعود محددة (١) .

هتلر يكره كل الشعوب غير (التيتونية) ويحتقرها ، ولا يعقد لها خيرًا ، وإذا كان يلزم الأمر لإحداها تأييدًا فليكن لفظيًا يحقق مصلحة لألمانيا فقط ، وكل الذى يعنيه فى القضية الفلسطينية ، أو المشكلة اليهودية ، أن يطهر ألمانيا من اليهود وليذهبوا بعد ذلك إلى الجحيم ، ومن ثم فهو لا يهتم بقضية اليهود خارج ألمانيا ، أو الأرض التى تسيطر عليها الجيوش النازية ، إلا فى حدود المصلحة الألمانية أولاً وأخيرًا .

وفى الوقت نفسه فقد أذعن النازيون لتقسيم فلسطين ، الذى صار أمرًا واقعًا، وعليه فعليهم أن يتصرفوا فى حدود مصالحهم ، أى بمساعدة تهجير الصهاينة من الأرض الألمانية وتطهيرها منهم ، ونقلهم إلى أرض فلسطين ، وفى ذلك مصلحة تحقق للنازية ، فبجانب تفريغها من اليهود ، فإن الصهاينة سيروجون البضائع الألمانية فى العالم ، ليخرجوا الاقتصاد الألمانى من كبوته ، فضلاً عن تسليم آلاف من اليهود غير الصالحين ، وغير النافعين للنازى .

---

(١) لينى برينر : المرجع السابق ، ص ١٢٥ نقلاً عن وثائق الخارجية الألمانية ٥/٧٤٦، ٧٤٧ ، طبع واشنطن فى سنة ١٩٥٣م .

ولقد رحب الزعماء النازيون بموقف القادة الصهاينة، الذين يشاركونهم الرغبة فى التخلص من اليهود ، بدافع من تمسكهم بهدف أوحد ، هو إنشاء دولتهم فى فلسطين، فعلى سبيل المثال كتب ألفريد روزنبرج، أبرز منظرى الفكر النازى قائلاً: يجب دعم الصهيونية بكل قوة ، حتى يتسنى نقل مجموعة كبيرة من اليهود الألمان إلى فلسطين سنويًا .

أما رينهارت هايد ريش الذى كان رئيسًا لجهاز الأمن الخاص النازى فقال : ينبغى أن نميز بين نوعين من اليهود: هما اليهود الصهاينة ، واليهود التمثليين أنصار الاندماج ، فالصهاينة يتبنون مفهومًا عرقيًا صارمًا [كالنازيين] ويعملون من أجل بناء دولتهم عن طريق الهجرة إلى فلسطين ، ولهم منا كل التأييد الرسمى (١) .

وعلى كل حال فلقد سار مخطط هتلر لتطهير أوربا من اليهود على الوجه التالى :

١ ـ ترحيل الصهاينة الذين تعهدوا بموجب اتفاقية « هعفرا » بخرق حملة مقاطعة البضائع الألمانية فى أوربا ، وبعدم الانخراط فى حركات مناهضة له .

٢ ـ وتتمثل المرحلة الثانية فى طردهم من أوربا بنقلهم إلى منطقة تكون بمثابة « جيتو عالمى » ولم يتم هذا المشروع الثانى لأن الظروف أعجزته عن تنفيذه .

٣ ـ المرحلة الثالثة : بعد احتلال شرق أوربا ولا سيما بولندا، بترحيلهم بشكل جماعى إلى معسكرات عمل نائية سيرًا على الأقدام فمات منهم الآلاف من المسنين والضعفاء ، وفى معسكرات العمل الإجبارى عملوا فى أوضاع شديدة القسوة ، من أجل تلبية الاحتياجات الحربية الألمانية ، خاصة الصناعات الكيماوية (مصنع فارين) حيث حاصرتهم الأوبئة والجوع الذى أودى بحياة الآلاف منهم (٢).

وفى سنة ١٩٣٧م أبلغ وايزمان المؤتمر الصهيونى أنه يريد مليونين من الشباب اليهودى القوى من أصحاب الخبرة فى المهن والعمل والحرب ، ثم قال : أما كبار السن من اليهود فهم سيحملون قدرهم ، وحتى إن لم يحملوه فإن وجودهم فى

---

(١) جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٩١ ، ٩٢ .

(٢) جارودى : المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

الأرض الجديدة سيكون هباء اقتصاديًا ومعنويًا فى عالم قاس ، أكرر قولى : أن يقبل مليونا يهودى شاب الهجرة إلى أرض فلسطين أمر حتمى وضرورى .

وفى خلال السنوات التى أعقبت وصول النازى إلى حكم الألمان فى سنة ١٩٣٣م وما بعدها كان التعاون بين زعماء الصهيونية ، والزعماء النازيين على أساس خطة متفق عليها ، وكان من أهم الأحداث فى هذه الفترة معاهدة الهعفرا = Hlaavarah = النقل = Transfer Treaty .

والهعفرا كلمة عبرية تعنى النقل أو الترحيل أو التهجير ، وهى معاهدة وقعت بين كل من المستوطنين الصهاينة فى فلسطين ، والنازيين . وبموجبها تم تأسيس شركتان فى سنة ١٩٣٣م هما : « شركة هعفراه » فى كل من: تل أبيب ، وشركة «بالترو» فى برلين . وكان تأسيس شركة « هعفراه » على أساس صهيونى بحت ، وشارك فى استثماراتها عدد من الشخصيات الصهيونية المهمة فى قيام الكيان الصهيونى ، وكان منهم من تقلد فيما بعد رئاسة الوزراء فى إسرائيل مثل : «ديفيد ابن جوريون » ، و« موشى شاريت » ، و« جولدا مائير » ، وكانت تدعم الشركة من نيويورك ، و« ليفى أشكول » الذى كان ممثلاً للشركة فى برلين .

وقد استمر التعاون بين هذه الشركة الصهيونية ، والحكم النازى لمدة ثمانى سنوات أى حتى سنة ١٩٤١م فى ظل حكم هتلر .

على أن اتفاقية « هعفراه » لم تخل من التواطؤ المزرى ، فقد تم فيها الاتفاق بين « إيخمان » ممثل الجانب النازى ، و« كاستنر » ممثل الجانب الصهيونى على مبادلة يهود صهاينة نافعين لإنشاء الكيان الصهيونى من الأثرياء والفنيين والشبان المحاربين ، فى مقابل تسليم يهود غير نافعين ـ برأى الصهيونية ـ إلى الحكومة النازية لإرسالهم إلى معسكر « أوشيفتش » . وفيه ما فيه من التجويع والعمل الشاق ، وألوان العذاب .

وقد وقعها المستوطنون الصهيونيون بأرض فلسطين فى ظل ظروف معيشية قاسية ، فلم تكن تصل إليهم أموال تكفى مؤنتهم من اليهود الأثرياء فى البلاد الأوربية ، وقد أثر ضيق العيش الذى يعانون منه من إقبال مهاجرين يهود جدد فى سنة ١٩٣٣ بالعدد المعتاد ، وكان ذلك دافعًا لأن يذهب الزعيم العمالى المستوطن

بأرض فلسطين حاييم أرلو سوروف (١٨٩٩م ـ ١٩٣٣م) إلى ألمانيا لمقابلة الزعماء النازيين ومناقشة إمكانية التعاون معهم، بعد أن مهد القنصل الألمانى فى القدس لهذه المقابلة لدى حكومته ، وبين مزاياها للطرفين .

ولقد تم اغتيال حاييم أرلو سوروف بعد توقيع الاتفاقية وعودته إلى فلسطين بأيام قليلة من قبل الصهاينة أنفسهم ، وأيا كان مصير موقعها من الطرف الصهيونى فإن هذه الاتفاقية تقضى بما يلى :

١ ـ أن تسمح السلطات النازية لكل مهاجر صهيونى من ألمانيا بوضع ألف جنيه إسترلينى فى حساب مغلق فى بنك واسرمان فى برلين ، وبنك ووربورج فى هامبورج ، بشرط ألا يصرف هذا المبلغ إلا فى شراء تجهيزات وآلات زراعية من ألمانيا ، تنقل إلى أرض فلسطين ، وهناك تقوم شركة بيع هذه المعدات ، وتسدد بأثمانها ، المبالغ المستحقة لمودعيها من الصهاينة بعد وصولهم إلى أرض فلسطين وتحتفظ بفرق الثمن على اعتبار أنه عمولة ، أو ربح لها .

وبذلك تكون الحكومة النازية قد استفادت من العملة الصعبة التى حصلت عليها من الصهاينة فى تأمين الاقتصاد الألمانى ، كما تكون مصانع تصنيع المعدات الزراعية بألمانيا قد استفادت هى الأخرى ، وتكون البضاعة الألمانية قد حدث لها بعض الرواج ، ويستفيد الصهاينة عددًا جديدًا من المستوطنين اليهود فى أرض فلسطين ، فضلاً عن أهمية المعدات الزراعية وآلاتها التى تم نقلها من ألمانيا فى تسيير الحياة الزراعية فى المستوطنات الصهيونية المقامة بأرض فلسطين .

٢ ـ تم تعديل الاتفاقية بعد ذلك من أجل اليهود الصهاينة التوطنيين الذين يريدون تأسيس مستوطنات فى فلسطين ، دون الهجرة إليها ، أن يضعوا مبالغ فى حدود ثلاثة ملايين (لكل واحد منهم) فى حساب مغلق تشترى به بضائع ألمانية أيًا كان نوعها ، وتنقل خارج ألمانيا ، ومع أن بعض العناصر بوزارة الخارجية الألمانية اعترضت على هذا التعديل ، الذى يعد مساهمة نازية فى بناء المستوطنات الصهيونية ، إلا أن هتلر قرر الاستمرار فى العمل بالاتفاقية [١] .

---

(١) لزيادة التفاصيل ارجع إلى د. المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/٤٦٧ ، وجارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٩٤ ـ ٩٧ .

وكما يؤكد الكاتب اليهودى ـ غير الصهيونى ـ لينى برينر أن الفوهرر (هتلر) أصدر قراره الحاسم بأن تزال جميع العقبات من طريق التهجير إلى أرض فلسطين خاصة وأنه رأى فى الصهيونية تشابهًا فى تنظيماتها ، وخططها وأفكارها السياسية وتوجهاتها الاجتماعية ، بخطط الحزب النازى وأفكاره التى تتمحور حول خليط مما فوق القومية والأساطير الدينية ، والتفوق العرقى (١) .

وحققت هذه الاتفاقية، ترويج الصهاينة للبضائع الألمانية فى الأسواق العالمية، وأنقذت اقتصاد ألمانيا من التصدع . هذا من ناحية الإفادة لألمانيا ، أما من الناحية الأخرى ، فقد كانت مهمة جدًا فى تنمية الحياة الاستيطانية الصهيونية بأرض فلسطين، فلقد أمدت المستوطنين الصهاينة بالمال اللازم لتأمين بنيتهم التحتية ، وبالمادة البشرية من المهاجرين المنتقين الذين بلغ عددهم فى الفترة من سنة ١٩٣٣م إلى ١٩٤١م ٥٢٠٠٠٠ (خمسمائة وعشرين ألفًا) من العناصر النافعة منهم : ١٥٠٠٠٠ (مائة وخمسون ألفًا) من ألمانيا، ومن البلاد التى يسيطر عليها النازى. منهم ٦٥٢٩ رأسماليًا استثماريًا ، ٦٧٠٠ من الأطباء والمهندسين والصناعيين ، فكانوا إضافة اقتصادية مهمة لتنمية الاستيطان الصهيونى بفلسطين ، وكذا الاستثمار، والعناية بالبنية التحتية (٢) .

وبعد مؤتمر فانس فى يناير ١٩٤٢م ووقوع أراضٍ شاسعة من روسيا وبولندا فى أيدى النازى ، عمل النازى على تهجير عدد كبير منهم إلى فلسطين ، خاصة وأن بولندا كانت تعد أكبر مخزن لليهود فى العالم ، وكانت المنظمة الصهيونية ترى أن لدى بولندا مليون يهودى على الأقل فوق ما يمكنها أن تستوعبه من اليهود ، وأن أكثر هؤلاء يتمنون الفرار من الموت فى جيتو وارسو على أيدى النازى (٣) .

هتلر والإبادة الجسدية لليهود :

لم تكن فكرة هتلر حول الإبادة الجسدية خاصة باليهود وحدهم ، ولكن هتلر عمد بها إبادة الأعراق غير (التيتونية) ومن ثم فلم يكن يفرق بين اليهود ،

---

(١) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الدكتاتورية ، ص ١٣٢، ١٥٩ .

(٢) انظر : المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٤ .

(٣) انظر : لينى برينر : الصهيونية فى زمن الدكتاتورية ، ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

والسلاف والغجر ، وهى الأعراق الدنيئة ـ طبقًا لفكره ـ فى القارة الأوربية ، ولو كان أمامه أعراق أخرى غير هذه الأعراق الثلاثة فى أوربا لضمها إليها .

إن حركته فى هذا السبيل قامت على ضرورة تخليص العرق الألمانى الأرقى ، من الاختلاط فى الأعراق التى كان يراها دونية ، وأنه يجب طردها خارج ألمانيا ، بل خارج أوربا إن قدر عليها .

ولكن الكتابات الصهيونية حول هذا الموضوع حاولت دائمًا أن تجعل حركة هتلر إزاء الإبادة الجسدية خاصة بإفناء اليهود، وإبادتهم جسديًا إبادة جماعية لدرجة أن الأدبيات الصهيونية زعمت أن مؤتمر فانس فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٢م قد عقد خصيصًا للتنسيق من أجل الحل النهائى للمشكلة اليهودية ، أى إبادة اليهود فيها.

وكما يذكر د. المسيرى فى موسوعته أن هذا المؤتمر قسم العناصر غير المرغوب فيها ، والمراد التخلص منها نهائيًا من خلال أربعة طرق مختلفة هى : التعقيم ، أو الإبادة بالتجويع ، أو الإبادة بالعمل ، أو من خلال الدمج . ولكن تبين ما يلى :

١ ـ ان الألمان النازيين كانوا يتحركون فى حل هذه القضية فى إطار إمبريالى بحت ، بتصدير المشكلة برمتها إلى خارج ألمانيا ، بل خارج أوربا ، وتوجيه قبلة اليهود إلى أرض فلسطين ، وكان هتلر صريحًا ، ولم يكن مخادعًا ، فقد بين أنه يفرق بين معاداة اليهود العاطفية التى تنتهى بالمذابح ، كما كان يحدث فى مذابح البوجروم فى روسيا ومعاداتهم المنهجية بتهجيرهم إلى أرض فلسطين ، ومن هنا فعندما سئل هتلر عن حقوق اليهودى الإنسانية أجاب قائلاً : ليبحث عن حقوقه الإنسانية فى فلسطين .

وفى ١٠ من أغسطس سنة ١٩٤١م دافع هتلر عن الحل النهائى للمسألة اليهودية بنقل ٦٠٠,٠٠٠ (ستمائة ألف) يهودى من أراضٍ (الرايخ) ذهب بعضهم إلى فلسطين .

وفى يناير من سنة ١٩٤٢م ـ بعد مؤتمر فانس وقعت أراضى وسيعة من روسيا وبولندا فى أيدى النازى ، فأمر بتهجير عدد كبير من اليهود منهما لتنفيذ الحل النهائى للمشكلة اليهودية .

وكانت خطة هتلر لا تقوم دائمًا على الإبادة الجسدية ، أى التصفية الجسدية ، ولكنه كان يقوم بجانب ذلك بترحيلهم إلى خارج أوربا إما إلى فلسطين بموجب الاتفاقية المبرمة بينه وبين المنظمة الصهيونية ،أو بتركهم ليذهبوا إلى الولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية (الأرجنتين) أو بتسخيرهم فى العمل الشاق فى معسكرات العمل وإفقارهم وتجويعهم ، لكى يضطروا إلى طلب الهجرة إلى أماكن خارج أوربا .

وتحاول الأدبيات اليهودية أن تركز على معسكر أوشفتس Auschvitz باعتباره رمزًا للإبادة الجسدية ، وتزعم أن الذين أبيدوا فيه جسديًا بلغ عددهم ستة ملايين يهودى .

ولا ينكر أحد بأن إبادة منهجية تمت فى بعض اليهود ، ولكن أحدًا لم يتأكد من أن هؤلاء الذين تمت إبادتهم قد بلغ عددهم ستة ملايين كما تزعم الدعاية اليهودية .

ومن أهم الدارسين الذين عالجوا هذا الموضوع المفكر الفرنسى روچيه جارودى ، والكاتب اليهودى لينى بيرنر وغيرهما ومن الكتاب العرب : الدكتور عبد الوهاب المسيرى .

ويرى جارودى بصفة خاصة أن زعم اليهود بإبادة ستة ملايين منهم فى المحرقة النازية لا يزيد عن كونه « خرافة » أطلق عليه « خرافة الملايين الستة . ثم بدأ يفصل كيف ألف اليهود هذه الخرافة وصدقوها . ونقل عبارة عن دار نشر يهودية هى دار ليانا ليفى من كتاب المليون السابع لتوم سيجيف ص ٥٨٨ الصادر فى سنة ١٩٩٣م ، تقول العبارة : « الإبادة الجماعية ، شأنها شأن الوعد الإلهى فى التوراة ، هى إحدى الذرائع الأيديولوچية لإنشاء دولة إسرائيل » . أى إنها إحدى الذرائع التى صنعها اليهود لجذب انتباه العالم الغربى ، وكسب تعاطفه مع قضيتهم ، ومساعدتهم بالتالى على إقامة وطن قومى يريحهم من عذاب الأغيار .

ولم تكن المذابح التى قام بها هتلر تستهدف اليهود وحدهم ، ولكنها استهدفت الأعراق غير « الآرية » بصفة عامة ، ومما لا شك فيه فقد كانت المذابح التى حدثت لليهود تعد كارثة إنسانية سواء فى روسيا أو على أيدى النازيين ، لكن

الأمر الغريب أن تتخذها أجهزة الإعلام الصهيونية والغربية ذريعة لظلم عرب فلسطين الذين لم يشاركوا فى مذابح اليهود ولا غيرهم .

إن مذابح اليهود لم تكن الكارثة الإنسانية الوحيدة التى حلت بالعالم فى القرن العشرين ، فهى تصغر أمام المآسى التى تخلفت عن الحرب العالمية الثانية ، فقد أسفرت عن مقتل ٥٠ (خمسين) مليونًا من البشر منهم ١٧ (سبعة عشر) مليونًا من السوفييت ، وتسعة ملايين من الألمان ، ومثلهم من البلدان الأوربية التى شاركت فى الحرب ، منهم ملايين من البلاد الأسيوية والإفريقية التى كانت واقعة تحت الاحتلال الإنجليزى والفرنسى وزج بهم فى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل . فقد جندوا رغم أنفهم وزج بهم فى أتون الحرب .

ويبدو أن جرائم البيض ضد غيرهم من البشر منذ خمسة قرون جعلتهم يستريحون نفسيًا لحدوث هذه المذابح ، فقد فعلوا مثلها مع سكان أمريكا من الهنود الحمر الذين كان عددهم ثمانين مليونًا أبيد منهم ستون مليونًا عن طريق التصفية الجسدية ، ونتيجة لأعمال السخرة ، وتعرضهم للأوبئة دونما رعاية لهم من الرجل الأبيض .

وحدث الشىء نفسه للأسرى من الأفارقة الذين أسرهم تجار الرقيق الأوربيون وبيعهم للعمل فى مزارع البيض المستعمرين لأمريكا ، لقد كان تسعة أعشارهم يموتون قبل الوصول إلى أمريكا بسبب القيود والحبس والتجويع والإهمال ، ويقدر الذين ماتوا منهم بسبب ذلك أكثر من مائة مليون نسمة .

إن تضخيم الدعاية حول مذابح اليهود دون غيرها من المذابح البشرية يريح الضمير الاستعمارى الغربى ، أو يغيّبه عن الإحساس بجرائم فى حق الهنود الحمر، والرقيق الإفريقى ، وفى حق ملايين الأسيويين والأفارقة الذين زجت بهم الدول الاستعمارية فى الحرب العالمية الثانية ، وفنوا فيها .

إن القادة الإنجليز والأمريكيين كانوا فى حاجة إلى نسيان أكبر جرائمهم فى مذبحة دريسدن فى فبراير ١٩٤٥م التى راح ضحيتها مائتا ألف مدنى قتلوا حرقًا بالقنابل الفوسفورية فى غضون سويعات ، بدون أن يكون هناك هدف عسكرى أو

ذريعة ، لأن القوات الألمانية كانت قد انسحبت من الجبهة الشرقية ، ومع ذلك فعلوا ذلك من قبيل اللهو والتسلية ، أو من قبيل الترويع .

كما كانت الدعاية الأمريكية تتخذ من المذابح اليهودية ، طريقة للفت انتباه العالم مما فعلته فى واقعة إلقاء القنبلتين الذريتين على هيروشيما ونجازاكى اللتين راح ضحيتهما ما يزيد عن ٥٠٠٠٠٠ (خمسمائة ألف) إنسان بين قتيل وجريح ، غير ما تركته فيمن لم يموتوا وأصبحوا مشوهين ، مع أن اليابانيين كانوا قد بدؤوا فى إجراء مفاوضات سلام وإعلان الاستسلام ، أى أن الهدف من إلقاء القنبلتين لم يكن لضرورة عسكرية لحسم الحرب ، ولكنها كانت تسلية أمريكية يراد بها إرهاب العالم (١) .

إذن لقد كانت دعاوى الصهيونية ، بغرف الغاز النازية والمحرقة فرصة للغرب الاستعمارى لكى يشعر بالتطهر من ذنوب جرائمه ، بتحويل الجرائم التى ارتكبت فى حق اليهود إلى جرائم استثنائية ، بطريقة الإبادة بالحريق Holocauste .

وكان أول من استخدم مصطلح « الهولوكست » الكاتب اليهودى « إيلى فايزل » فى كتابه الليل الصادر فى سنة ١٩٥٨م ثم شاع هذا المصطلح بعد إخراج فيلم أمريكى بنفس العنوان (الهولوكست) Holocauste الذى صور مذابح اليهود بما لا يمكن مقارنته بأية مذابح أخرى ضد البشر .

ومعنى (الهولوكست) Holocauste فى معجم لاروس (ص ٧٧٢ باريس ١٩٦٩م) الهلوكوست : طقس من طقوس التضحية معروف لدى اليهود ، وفيه تحرق النار القربان بالكامل .

ويطلق عليه اليهود « شواه = Shouah » أى المحرقة ، ولهذا فقد صوره اليهود للعالم على أنه إعدام لشخص ثم حرق الجسد حتى تحرقه النار بالكامل ويفنى ، وبذلك يكونون قد أضفوا عليه طابعًا مقدسًا ، مساويًا لحل نهائى للمسألة اليهودية ، بالإبادة الكاملة لليهود .

---

(١) لزيادة التفاصيل ارجع إلى : جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٦ .

ولم تقف مبالغات اليهود عند الرقم ستة ملايين ، فهناك بعض التقديرات الدعائية توصل العدد إلى تسعة ملايين، مع أن العدد الحقيقى فى أقرب الإحصاءات إلى الصحة ، إلى تسعمائة ألف .

ولا نريد أن نهون من قدر هذه الكارثة الإنسانية ، فقتل نفس واحدة يعد مأساة إنسانية يجب أن تقف لها الدنيا ، قال تعالى : ﴿ **مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا** ﴾ [المائدة : ٣٢] .

يقول جارودى : « لو عدنا إلى أحدث المؤلفات وأدق الإحصاءات مثل كتاب «راؤول هيلبرج » : القضاء على يهود أوربا (فايار ١٩٨٨م) فإن عدد الضحايا فى (أوشيفتس) يبلغ زهاء المليون ، وهو رقم يقبله جميع المتخصصين إذ أصبح من المتفق عليه فى الوقت الراهن فيما بينهم أن عدد الضحايا لا يقل عن تسعمائة ألف ، ولا يزيد عن مليون ومائتى ألف » (١) .

وأشيع أن النازى كان يستخدم الغاز السام فى قتل اليهود ، ثم يرمى بهم فى محارق لتأكلهم النار ، ولكن جارودى أكد أن مسألة القتل بالغاز والحرق بالمحارق ليس إلا مجرد خرافة ، وإن صممت الدعاية حولها فى شكل مبهر ليجرى ترسيخها فى الأذهان بمهارة ويستدل بقول جابريل كوهين بنديت أحد الكتاب اليهود (صحيفة ليبراسيون فى ٥ مارس سنة ١٩٧٩م) يقول فيه : « فلنقاتل من أجل هدم خرافة غرف الغاز التى تعرض على السياح فى معسكرات نعلم علم اليقين أنه لم تكن فيها أى غرفة غاز ، وإلا فلن يصدقنا أحد بعد فيما نثق فى صحته » (٢) .

كيف تم العمل بين « إيخمان وكوستنر » ؟!:

ليس أثبت من كلام إيخمان أو كوستنر ـ فى هذا الموضوع ! فإذا كان هناك ثمة قبول لكلام إيخمان ، أو كلام كوستنر ، فإن إيخمان ـ الطرف النازى فى التواطؤ النازى الصهيونى فى مذابح اليهود قد وصف كوستنر بما يلى فقال :

« إن الدكتور كوستنر من رجال القانون ، وكان ذا ثقافة عالية عرفته شابًا

---

(١) جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٢١٣ .

(٢) جارودى : المصدر السابق نفسه ، ص ٢٢١ .

يعمل محاميًا ، وكان أهم ما يوصف به أنه كان يبدو باردًا كالثلج ، وكان فى الوقت نفسه صهيونيًا شديد التعصب ، وهذا ما جعله يوافق على إقناع اليهود البولنديين بعدم مقاومة القوات النازية التى كانت تنقلهم من مكان إلى مكان ، أو ترحلهم من مكان إلى آخر ، بل أقنعهم بأن يكونوا مثال المحافظين على النظام فى المعسكرات التى أقيمت خصيصًا من أجل ترحيلهم ، فى مقابل غض الطرف عن بعض اليهود الصهيونيين الذين يشير إليهم وتركهم له يصرف شؤونهم بنفسه، وكذلك ترك بعض الآلاف من اليهود الصهيونيين الشباب، ومعاونته على تهجيرهم بشكل غير قانونى إلى أرض فلسطين .

وأنا أعترف بأنها كانت مساومة جيدة بين الطرفين : أن يكون ثمن حفظ النظام بعدم الخروج على السلطات النازية ، أو التمرد عليها فى المعسكرات التى أقيمت لهم لكى يكونوا أدوات منتجة تصدر منتوجاتها القوات النازية ، هو من ١٥٠٠٠ (خمسة عشر ألف) يهودى صهيونى إلى ٢٠٠٠٠ (عشرين ألف) يهودى صهيونى يهجرون بمساعدة القوات النازية إلى أرض فلسطين .

كان اهتمام كوستنر الرئيس ، أن يجعلنى على قناعة بأنه من الممكن أن يختار هو بنفسه اليهود المجريين للهجرة إلى إسرائيل ، ولم يكن مهتمًا باليهود المسنين ، أو بهؤلاء اليهود الذين صاروا متمثلين فى المجتمع المجرى ، مندمجين فيه . لقد كان مصرًا بدرجة قصوى على اختيار يهود لهم صفات خاصة نافعة للحياة فى أرض الميعاد ، كما كان مصرًا على إنقاذ الدم اليهودى الثمين ـ بحسب معياره بصفة خاصة ، لقد كان معنيًا بالدرجة الأولى بالمادة البشرية القادرة على النتاج ، والعمل الشاق .

وكان دائمًا يقول لى : دع لى هذه المجموعة ، ثم يمكنك أن تأخذ كل الآخرين .

ولأن كوستنر قدم (للنازية) خدمة جليلة ، بأن سعى سعيًا حثيثًا لكى تظل معسكرات الترحيل مسالمة ، فإننى كنت أسمح لمجموعاته التى اختارها بنفسه بالهرب لكى يقوم بترحيلها إلى أرض فلسطين ، خاصة إننى لم أكن معنيًا

بالمجموعات الصغيرة التى تتكون من ألف يهودى أو أكثر قليلاً » (١) .

ويعطى الكاتب الصهيونى يهودا سلوتسكى إشارة إلى ما يؤكد نجاح التواطؤ بين الصهيونى رودلف كوستنر ، والنازى إيخمان ، فقد ذكر سلوتسكى: إن الذين وصلوا إلى أرض فلسطين ، فى أثناء الحرب العالمية الثانية ٥٢٠٠٠ اثنان وخمسون ألفًا ، وهذا العدد يشتمل على المهجرين الشرعيين ، وغير الشرعيين ـ ثم يذكر سلوتسكى أيضًا : إن أحدًا فى ذلك الحين ـ من التصحيحيين ، أو من المنظمة الصهيونية العالمية، لم يكن ينظر بأية أهمية لإنقاذ اليهود كيهود من القوات النازية، وإنما كان الذى يعنيهم ، تهجير مستوطنين تم اختيارهم بكل دقة إلى أرض فلسطين بحيث كانت الأولوية فى حركة التهجير لأعضاء (حركة بيتار) المحاربين ، الذين جىء بهم خصيصًا لتعزيز (قوات الأرجون) فى أعمالها الإرهابية ضد العرب من الفلسطينيين المسالمين (٢) .

وكانت معسكرات العمل = أو معسكرات التعذيب التى ينقل إليها اليهود فى ألمانيا ، أو دول شرق أوربا التى كانت تسيطر عليها القوات النازية المسلحة ـ أشبه بجيتوات كبيرة ـ كان أكبرها جيتو وارسو Warsaw Ghetto الذى ضم خمسمائة ألف يهودى فى سنة ١٩٤١م وكان محاطًا بحائط يبلغ ارتفاعه ثمانية أقدام أشبه بـ (الجدار العازل الشارونى الآن بأرض فلسطين) وكان الألمان يفعلون ذلك باليهود لأنهم منبوذون ، وكان لكل (جيتو) إدارة يهودية تدير شؤونه ، يرأسه مجلس كبراء معين من قبل السلطة النازية ، وكان (الجيتو) يستورد الطعام والمواد الخام

---

(١) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ٣١٨ .

رودلف كوستنر (١٩٠٦ ـ ١٩٥٧م) أحد زعماء الحركة الصهيونية ، كان من أبرز المتواطئين مع السلطات النازية فى اعتقال آلاف اليهود فى ألمانيا والبلاد التى احتلتها القوات النازية فى الحرب العالمية الثانية ، فى مقابل تهجير بعضهم ممن يختارهم كوستنر إلى أرض فلسطين ، وانكشف هذا التواطؤ فى سنة ١٩٥٢م فقدم لمحاكمة صورية فى إسرائيل تهدف تبرئة الصهيونية من التواطؤ مع النازية ، ولكن اعترافه فى أثناء المحاكمة بأنه كان يتصرف بأوامر من الوكالة اليهودية، وبتفويض منها ، مما زاد الأمر تعقيدًا فى تشويه صورة الصهيونية أمام العالم، فتم اغتياله فى سنة ١٩٥٧م قبل انتهاء المحاكمة التى كانت بمثابة كابوس أرق النخبة الصهيونية الحاكمة فى إسرائيل .

(٢) برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ٢٧٦ .

التى يحتاج إليها ، من السلطة النازية ، ويقوم بسداد أثمانها مما يقوم بتصنيعه من منتوجات ، وملابس ، وكل ما ينتجه الجيتو من مصنوعات جلدية مثل الأحذية ، وكان العامل اليهودى يتقاضى ربع الأجر الذى يتقاضاه العامل الألمانى .

ولم تكن السلطات النازية توفر لهم المواد الغذائية الأساسية التى تكفيهم ، ولا توفر لهم أية رعاية صحية ، ومن ثم فقد كانوا يعانون من الجوع والمرض ، مع تدفق فائض القيمة من منتوجاتهم على السلطة النازية ، مما أدى إلى موت ٨٨٥٦٨ (ثمانية وثمانين ألفًا وخمسمائة وثمانية وستين) يهوديًا ، أى ما يقرب من خمس سكان الجيتو فى السنة الأولى ، بسبب التجويع وإهمال الرعاية الصحية ، وترك المرضى والمسنين يموتون جوعًا .

وكان مثل هذا الإجراء يمثل جزءًا من خطة الإبادة لليهود .

وكان هناك إجراء آخر هو تسليم المسنين والعجزة لكى يلقوا حتفهم على أيدى السلطات النازية ، يقول النازى إيخمان : كان كوستنر حريصًا بدرجة لا تصدق على إنفاذ المادة البشرية القادرة على النتاج والعمل ، ولم يكن مهتمًا بالمسنين والمعاقين والعجزة والمندمجين ، وأمثال هؤلاء ثم تسليمهم للسلطات النازية .

ويؤكد الكاتب اليهودى غير الصهيونى : لينى برينر : أن تواطؤ كوستنر مع إيخمان ممثل النازية ، ساعد السلطات النازية على قتل ٤٥٠,٠٠٠ (أربعمائة وخمسين ألفًا) من اليهود الذين لا حاجة له فيهم وكانوا من يهود المجر ، وممن لجأ إليها من اليهود البولنديين والسلوفاكيين ، وإن حماية النازى بـ ٦٠٠ (ستمائة) يهودى بارز اختارهم كوستنر ، كان جزءًا من خطة إبادة اليهود ، وكان كوستنر يرى أن إنقاذ هذا العدد القليل ، فى مقابل التضحية بالأعداد الهائلة من اليهود ـ نجاح شخصى له ، ونجاح منعدم النظير للصهيونية .

وخير مثال يدل على هذه الطريقة الانتقائية فى تهجير الصهاينة إلى أرض فلسطين بطرق غير شرعية الشخصيات الآتى أسماؤهم :

١ ـ موسى سينه رئيس المنظمة الصهيونية البولندية .

٢ ـ مناحم بيجن قائد حركة بيتار فى بولندا .

٣ ـ ناثان يالين مور .

٤ ـ إسرائيل شيب (إلداد) .

ولقد ذهب موسى سينه إلى فلسطين سنة ١٩٤١م وأصبح قائد عصابات الهاجاناه القتالية حتى سنة ١٩٤٦م ، أما مناحم بيجن ، قائد حركة بيتار القتالية فى بولندا فقد قبض عليه فى ليتوانيا ، وقضى سنة فى معسكرات سيبريا ، وعاد إلى فلسطين فى سنة ١٩٤٢م ، أما ناثان يالين مور ، وإسرائيل شيب فقد صعدا لقيادة عصابة شتيرن المنشقة عن عصابة الأرجون [١] .

ذهب هؤلاء جميعًا إلى فلسطين، وتركوا إخوانهم اليهود فى مجزرة أوربا، فى أتون الحرب العالمية الثانية ، خاصة فى جحيم النازية ، وكان عارًا عليهم ، وعلى مناحم بيجن بصفة خاصة، لأنه كان قائدًا لحركة بيتار القتالية، الذى فضل أن يهرب إلى فلسطين يحمل عاره معه متخليًا عن جنوده فى مثل هذه الظروف القاسية.

وهكذا كان اليهود يساقون إلى الموت إن طوعًا وإن كرهًا .

أما مسألة الغاز القاتل والمحرقة ، فهى مبالغات صهيونية لكسب عطف العالم، ضخمتها أجهزة الإعلام الصهيونية ، والغربية والأمريكية على السواء ، لأن لكل جهة منها مصلحة فى ذلك .

كيف كانت تتم صفقات التواطؤ بين الصهيونية والنازية ؟! :

بدأ التعاون بين الصهيونية والنازية منذ وصول هتلر إلى الحكم فى ألمانيا ، وبدأ هذا التعاون بموجب المعاهدة بين الصهيونى حاييم أرلو سوروف (١٨٩٩ ـ ١٩٣٣) والسلطات النازية ـ وكان هذا التعاون يقضى بالسماح بتهجير بعض يهود ألمانيا إلى فلسطين ، فى مقابل بعض الصفقات الاقتصادية التى تصلح من شأن الاقتصاد الألمانى .

ولكن بمرور الوقت تحول هذا التعاون إلى تواطؤ يقضى بإبادة العنصر اليهودى الذى يكن النازى له كل كراهية ، وينبذه .

---

(١) لينى بيرنر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ٢٥٨ .

ومع أن الوثائق المعلوماتية التى يستقى منها المادة العلمية لمثل هذه البحوث لا يمكن أن تكون غاية فى الدقة ، لأنها حدثت فى زمن حرب عظمى ، ولأن الدول المشاركة فيها لا تقدم الحقائق دائمًا لأسباب تخصها فى مجال الأمن القومى ، إلا أن على الباحث المخلص فى عمله أن يقدم بقدر المستطاع ما يراه صحيحًا معتمدًا على ما يصل إليه من وثائق تخضع للتدقيق والتحليل .

كل المعلومات المتاحة تؤكد أن كلا من الدعاية الصهيونية والإمبريالية هولت من أحداث الإبادة ، كما كثرت الأعداد التى زعموا أن النازى قام بإبادتها ، كما كذبوا فى ادعاء المحرقة وساعدتهم فى كل ذلك أجهزة الدعاية الاستعمارية لأن لها فى ذلك مصلحة أيضًا .

وهناك معلومات عن الكاتب والصحافى اليهودى غير الصهيونى لينى بيرنر الذى عاش فى أتون الحرب العالمية الثانية ، وكان أحد كتابها الصحافيين المهمين ، يقول لينى بيرنر: بحلول سنة ١٩٣٩م وهى سنة بداية اشتعال الحرب العالمية الثانية كان للنازيين عدد من الصفقات مع الصهيونيين فى ألمانيا والنمسا،وتشيكوسلوفاكيا، فقام النازيون بتهجير اليهود بالقوة من هذه البلاد فى سنة ١٩٤١م .

وبحلول أول أكتوبر سنة ١٩٤١م كان أكثر من ٢٥٠,٠٠٠ مائتين وخمسين ألف يهودى قد سيقوا جماعات إلى ساحات الإعدام ، فى روسيا البيضاء ، ودول البلطيق ، وتم إعدامهم فى عمليات جماعية .

وفى يوليو سنة ١٩٤٢م أخذ الألمان ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاثمائة ألف) يهودى إلى ساحات المذابح الجماعية .

فى مقابل ذلك وصل إلى فلسطين كما يؤكد يهودا سلوتسكى ٥٢٠٠٠ (اثنان وخمسون ألفًا) من اليهود ، وهذا العدد يشمل الشرعيين وغير الشرعيين .

وفيما بعد سنة ١٩٣٧م كان الصهاينة يروجون لفضلهم على اليهود بإكساب الهجرة غير الشرعية سمعة كأنها جزء من مساهمة الصهيونية فى إنقاذ يهود أوربا من هتلر ، مع أن الصهيونيين ـ فى الحقيقة لم يهتموا بإنقاذ اليهود ، كل اليهود ، وإنما كانوا فقط ينقذون يهودا يصلحون للاستيطان بأرض فلسطين ، يتم اختيارهم بدقة ، وكانت الأولوية لأعضاء عصابة بيتار ، من أجل تعزيز عصابة الأرجون فى

عملياتها الإرهابية ضد العرب ، وكانوا يأخذون الشباب من أعضائها القادرين على حمل السلاح وقتل الآمنين من الفلسطينيين فى المدن والقرى .

ويؤكد هذا الاختيار الانتقائى بيان أوتوزا يدمان ، وهو زعيم سابق فى عصابة بيتار قال فى بيان أصدره فى سنة ١٩٤٧م قال فيه : « إن الزعم بأنه كان علينا إنقاذ حياة اليهود سواء كانوا شيوعيين ، أو رأسماليين، أو أعضاء فى الـ (هاشومير هاتسائير) ، أو من الصهيونيين العموميين كان مجرد كذب . فلقد كان الانتقاء يتم هكذا بالترتيب :

١ ـ كان للبيتاريين الصهاينة دائمًا الأفضلية ، على أى صهاينة آخرين .

٢ ـ الأفضلية للصهيونيين اليمينيين ، على الصهيونيين اليساريين .

٣ ـ ثم أى نوع من الصهيونية ، على اليهود غير الصهيونيين .

إن ما كان يشغل الصهاينة فى الأول والآخر إقامة دولة صهيونية ، تغتصب من العرب على أرض فلسطين تكون مادتها البشرية ، من المادة البشرية النافعة ، التى تنقل من أوربا إلى الأرض المغتصبة .

وهؤلاء الأخيرون ومعهم المسنون والمعاقون يتم تسليمهم للسلطات النازية .

وكانت تقارير الإبادة المنهجية أى الذبح المنظم لليهود من السلطات النازية تصل إلى أجهزة الإعلام الغربى ـ خاصة الصحافة ـ فى أكتوبر سنة ١٩٤١م ، فكانت الصحافة الغربية بالتالى تقوم بالتضخيم لهذه الأحداث وأهوالها بما لا يقبله عقل راجح ، ولو كان ليهودى ، ولهذا فقد صرح إسحاق جرونبوم قائد لجنة الإنقاذ فى الوكالة اليهودية بأنه يرفض تصديق الروايات التى تروى عن أعداد الذين يساقون إلى الموت من اليهود ، فقد علق على ما يحدث من إبادة لليهود فى ليتوانيا قائلاً : إن العدد المقدر للموتى ، أكبر من عدد السكان اليهود فيما قبل الحرب ، فى ذلك البلد الذى يعلن فيه ، عن قتل منظم لليهود .

ولكى تكون قصة المذابح مسبوكة فقد تم تقديم كاستنر للمحاكمة فى دولة الكيان الصهيونى فى ٢١ يونيو سنة ١٩٥٥م باعتباره متواطئًا مع السلطات النازية فى قتل اليهود، ووقف كاستنر أمام المدعى العام حاييم كوهين فى المحكمة العليا ،

وقدم محاميه حجته التالية : إن كاستنر لم يفعل شيئًا أكثر أو أقل مما فعله أى صهيونى مخلص فى إنقاذ اليهود وإحضارهم إلى أرض فلسطين ، لقد كان مسموحًا له ، بل كان واجبه أن يخاطر بفقد الكثيرين ، لكى ينفذ القليلين ، لقد كان اتجاهه ، هو عين الاتجاه الصهيونى نفسه دائمًا ، وهو اختيار القلة النافعة لإقامة القومية الصهيونية ، من بين الكثرة ، لقد كان هناك أولويات فى ترتيب الهجرة إلى أرض فلسطين فكيف إذن يدعى عليه مدع بالخيانة ؟!

ولم يخدم تقديم كاستنر للمحاكمة من قبل اليمين الصهيونى فى ذلك الوقت، ولكنه خدم حكومة حزب العمال الذى ينتمى إليها كاستنر .

ولكن بقيت أهم جوانب قضية كاستنر ، وهو كشفها الكامل لخطط عمل المنظمة الصهيونية العالمية من خلال كل المرحلة التى حكم فيها النازيون ألمانيا ، وبصفة خاصة فترة الحرب العالمية الثانية من سنة ١٩٣٩م حتى سنة ١٩٤٥، فلقد قامت خططهم المتواطئة مع النازية على قاعدة : تبرير خيانة الكثيرين من يهود أوربا لمصلحة الهجرة الانتقائية ، من البلاد الأوربية التى كانت حكومة ألمانيا النازية بقيادة أدولف هتلر تسيطر عليها ، وهى الإبادة التى أحاطها الصهيونيون بالقداسة، لأنها ستحقق نبوءة توراتية فى أرض الميعاد ، بطرد العرب الفلسطينين من أراضيهم، وإقامة دولة صهيونية حدودها ، كما حددت (فى سفر التكوين ١٥ : ١٨) من نهر مصر (النيل) إلى النهر الكبير نهر الفرات [١] .

الإبادة وما الحقيقى منها ؟ :

بعد أن أفاق بعض ذوى الفكر الحر فى القارة الأوربية، بدأت إعادة الدراسات حول الإبادة الجماعية لليهود ، وأسطورة الملايين الستة ، وهذه العبارة الأخيرة قال بها المفكر الفرنسى رجاء جارودى قال: أسطورة خرافة الملايين الستة (الهولوكست) وهو ما أشار إليه المفكر العربى عبد الوهاب المسيرى بمقولة : إن الخطاب الحضارى الغربى أصبح ينكر أسطورة الإبادة،التى زعمت أن النازى أباد ستة ملايين يهودى.

---

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى : ليتى بريتر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ٢٥٣ ، ٣٢٤.

وقبل أن يدخل جارودى فى الكلام عن هذه الخرافة التى روجها كل من الإعلام الصهيونى ، والغربى ، ينقل عن مصدر يهودى [توم سيجيف : المليون السابع ، الناشر دار نشر يهودية = ليانا ليفى ١٩٩٣م ، ص ٥٨٨] ما المقصود بالإبادة الجماعية ؟! الإبادة الجماعية ، شأنها شأن الوعد الإلهى فى التوراة ، هى إحدى الذرائع الأيديولوچية ، لإنشاء دولة إسرائيل .

ثم أضاف جارودى : عادة ما تستخدم ثلاثة مصطلحات للإشارة إلى المعاملة التى لاقاها اليهود على أيدى الألمان ، ألا وهى « الإبادة الجماعية Geuocide » و«الهولوكست Holocauste » و«شواه Shoah » وهى كلمة عبرية بمعنى المحرقة .

وتعنى الإبادة الجماعية ، القضاء على جماعة عرقية بخطه منهجية دؤوبة حتى يفنى جميع أفرادها ، فإذا كان ذلك صحيحًا فإن هذا يعنى أن النازى قد استأصل الشعب اليهودى ، ولم يترك منه أحدًا على قيد الحياة ، على الأقل فى البلاد التى كانت تسيطر عليها القوات النازية المسلحة ، وهذا ما لم يحدث لأن عدد اليهود قد زاد منذ نهاية الحرب فى سنة ١٩٤٥م زيادة ملحوظة .

كما أن الإبادة الجماعية لم تصدق فى التاريخ كله إلا فى عمليات الإبادة المقدسة للكنعانيين وشعوب أخرى بأرض فلسطين القديمة على يد يشوع فتى موسى، واليهود الذين أخرجهم المصريون الفراعنة من مصر فذهبوا إلى أرض كنعان يبيدون من فيها فى أحداث يسردها سفر يشوع تفصيلاً فيقول على سبيل المثال عندما استولى يشوع على مدينتى عجلون وحبرون: « وهكذا قضوا على كل نفس فيهما» سفر يشوع: ٣٧،ويقول عند استيلائه على حاصور: «ونهب الإسرائيليون لأنفسهم كل غنائم تلك المدن ، أما الرجال فقتلوهم بحد السيف فلم يبق منهم حى» سفر يشوع ١١/ ١٤ ، وهكذا قضوا على كل من كان بأريحا ، وكل ما كان فيها .

ولكن فى الحالة الصهيونية النازية فالأمر جد مختلف ، فإن هتلر بتحفيز من نظريته العرقية التى ترى تفوق العرق « الآرى التيوتونى» على جميع الأعراق، كان يرى فى أصحاب الأعراق الأخرى أعداء له فى أوربا ، وإن مثل اليهود فى ذلك كمثل السلاف الذين قتل منهم فى الحرب ، أضعاف مما قتل من اليهود » [١] .

---

(١) انظر : جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣ .

إذن فلم تكن هناك إبادة مقصودة لليهود وحدهم من قبل النازية .

أما مصطلح الهولوكست، فقد استخدم لنفس الغرض بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فى سنة ١٩٤٥م بثلاث عشرة سنة أى فى سنة ١٩٥٨م فى كتاب للكاتب اليهودى « إيلى فايزل » ثم شاع بعد أن قامت هوليود بإخراج فيلم بالعنوان نفسه، ثم شاع استخدامه منذ السبعينيات للإشارة إلى الإبادة المنظمة لليهود على أيدى النازية ، وعنت الدعاية الصهيونية بـ « الهولوكست Holocauste = المحرقة » طقس التضحية المقدسة لدى اليهود ، الذين كانت تقودهم القوات النازية إلى المحرقة ، حيث يحرقون بالكامل ، ولا يبقى إلا ترابهم ، وكأنهم قربان مقدس ، لبقية من اليهود الذين لا يزالون على قيد الحياة ، فالحرق = قربان بمشيئة الله يؤذن بعهد جديد ، هو قيام دولة الكيان الصهيونى كرد إلهى على المحرقة .

كيف كان يتم القتل والحرق فيما زعموا ؟! :

زعم الصهاينة أنه كان يلقى بالضحايا فى غرف أبخرة حارقة ، ثم زعموا أنهم كانوا يرمى بهم فى غرف الغاز القاتل ، خاصة فى معسكرات : أوشفيتس ، وبيركناو ، وسوبيبور وغيرها فى بولندا .

وكانت الدعاية الصهيونية تلوح بصفة دائمة بغرف الغاز الرهيبة ، من أجل الإبقاء على الطابع المقدس ، الذى يجعل من هذه المحارق والإبادة قربانًا لرب اليهود، الذى تفضل عليهم بوطن قومى على أرض فلسطين ، وهو ما تشيعه دولة الكيان الصهيونى فى أجهزة الإعلام التى تسيطر عليها فى العالم ، وفى الكتب الدراسية كذلك .

ومن الغريب أن هذه الأفكار التى تروجها الصهيونية وتصدقها ، تصيب حكومات الصهيونية المتتالية فى الكيان الصهيونى بمرض العداء ، ليس للألمان الآن ولكن للعرب ، لقد تلبستهم النزعة العنصرية النازية ، بالإضافة إلى عزلتهم العرقية المرضية عن العالم ، وقوانينه الشرعية ، فيفعلون مع عرب فلسطين ، ما لم يفعله هتلر معهم حتى سنة ١٩٤٥م .

ومع أن هناك كتابًا ومفكرين أوربيين ينكرون عملية إبادة اليهود على أيدى

النازية بعيداً عن إبادة السلاف ، والشيوعيين الألمان الذين كان هتلر يراهم مثل اليهود تماماً ، إلا أن الدعاية الصهيونية لا تزال تتخذ ما لقوه على أيدى النازية ، مبرراً لما يقومون به فى حرب الإبادة والإفناء، وهدم المنازل ، والتجويع ، وتجريف الأراضى الزراعية ، وبناء الجدار العازل ـ على الفلسطينيين فى أرضهم.

ولكن مع ذلك ، فقد ظهرت كتابات فى الخطاب الحضارى الغربى تنكر فكرة الإبادة التى حدثت لليهود على أيدى السلطات النازية، وتشكك فيها ، كما تشكك فى وجود غرف الغاز ، وإن كل الأقوال التى دارت حول معسكر أوشيفتس مزيفة وغير صحيحة ومليئة بالمتناقضات .

ومن المراجع اليهودية التى تشهد على كذب الدعاية الصهيونية فى الكتابات عن الإبادة : الكتاب السنوى اليهودى الأمريكى رقم ٥٧٠٢ الذى يتناول الفترة من ٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٤١م حتى ١١ سبتمبر سنة ١٩٤٢م ، ص ٦٦٦ ، والذى يشير إلى أن عدد اليهود فى بلدان أوربا الخاضعة للسيطرة الألمانية ، فى أعقاب التوسع النازى الكبير وامتداده إلى روسيا ، كان يبلغ فى سنة ١٩٤١م (ثلاثة ملايين ومائة وعشرة آلاف وسبعمائة واثنين وعشرين) نسمة ٣١١٠,٧٢٢ بما فى ذلك اليهود الذين بقوا فى ألمانيا ، فكيف يباد ستة ملايين [١] ، أى ضعف عدد اليهود الموجودين فى هذه البلاد ، فضلاً عن أنهم لم يبادوا جميعًا ، وبقى أكثر من نصف هذا العدد الذى شمله هذا الإحصاء .

غير أن النفوذ الصهيونى بالدول الغربية الممالئة للصهيونية ، وقفت ضد الأصوات الناطقة بالحقيقة،وعلى سبيل المثال فإن المؤرخ البريطانى « ديفيد أيرفنج، الذى يوصف بأنه أهم المتخصصين فى الاشتراكية الوطنية (النازية) والذى يوصف كتابه : « حرب هتلر » بأنه أحسن دراسة عن الجانب الألمانى فى الحرب العالمية الثانية ـ والذى أنكر فيه الإبادة ، يطارد منذ الثمانينات من كندا، وأستراليا، وتم تغريمه فى ألمانيا لأن نفوذ الولايات المتحدة يساند الصهيونية ، ولا يريد لها أن تخسر معركة ولو كانت فى سطور فى صفحات كتاب .

---

(١) نقلاً عن جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ٢١٣ .

ولقد وصل التصدى لفكرة إنكار الإبادة والمحرقة غايته فى الولايات المتحدة ، ولقد فصله المفكر الأمريكى « بول فندلى » الذى ظل يشارك فى السلطة فى الولايات المتحدة عضواً بالكونجرس الأمريكى لمدة ٢٢ (اثنتين وعشرين) سنة ، فلما قال رأيًا تكرهه الإدارة الأمريكية ، وتكرهه الدولة الصهيونية طورد من منصبه وعزل ، بعد أن ألف كتابه الشهير « من يجرؤ على الكلام ؟! » .

كذلك بلغ غايته فى فرنسا مع صدور « قانون فابيوس (وزير يهودى) رقم ٤٣ فى مايو سنة ١٩٩٠م المعروف بقانون « جيسو » (اسم النائب الذى تبناه).

ويحرم هذا القانون أى تشكيك فى الجرائم التى اقترفت ضد الإنسانية جاء فيه: « يعاقب بإحدى العقوبات المنصوص عليها فى الفقرة السادسة من المادة ٢٤ كل من ينكر وجود أى من الجرائم المرتكبة ضد الإنسانية ، كما وردت فى المادة ٦ من النظام الأساسى للمحكمة العسكرية الدولية الملحق باتفاق لندن الموقع فى ٨ أغسطس سنة ١٩٤٥م .

ويتضامن الإعلام الاستعمارى الغربى ، مع الإعلام الصهيونى بالتصدى لكل من تسول له نفسه إنكار الإبادة أو التشكيك فيها ، أو حتى تقليل عدد اليهود الذين قتلهم النازى ، وتتعصب الثقافتان : الاستعمارية والصهيونية بشكل مغالى فيه لثقافة الإبادة وأدبياتها التى تراها مسلمة يجب قبولها .

الصهيونية والفاشية

الفاشية : مجموعة أفكار قومية ، تقدس الدولة كهدف أسمى للمواطنين ، الذين يجب عليهم الطاعة لزعيمهم ، والانصياع لأوامره .

وكانت بدايات العلاقات بين الفاشية والصهيونية ، فى يناير سنة ١٩٢٣م حينما قام « حاييم وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية ، بزيارة موسولينى ، وطلب منه دعم الحركة الصهيونية .

كان موسولينى قد ملأ أوربا بأصوات الدعاية، وكسب سمعة،وكان موسولينى يريد أن يجعل من إيطاليا دولة عظمى مثل بريطانيا وفرنسا ، وكان يتشكك فى نوايا اليهود لعلمه بأنهم أخلص ما يكونون للإمبراطورية البريطانية،فقال موسولينى لوايزمان : إن الصهيونية تعضدها السياسة البريطانية وتساندها لكى تجعل منها أداة قوية لإضعاف الدول الإسلامية العربية لصالح الإمبراطورية البريطانية .

ولأن الصهاينة اعتادوا أن يتفاهموا مع رؤساء الحكومات الاستعمارية باللغة التى يتفهمها كل منهم ، فقد رد وايزمان : إن إضعاف الدول الإسلامية العربية سيعود بالنفع على إيطاليًا أيضًا .

وكانت غنيمة الصهيونية من هذا الاجتماع ، هى أن سمح موسولينى بتعيين يهودى إيطالى ذى عقيدة صهيونية فى الوكالة اليهودية ، كما أبدى موسولينى فوق ذلك نواياه الطيبة للصهيونية ، كما أبدى استعداده لتقديم المساعدة للوكالة اليهودية كلما سنحت الفرص ، وسمحت الظروف .

وفى سنة ١٩٢٦م ذهب « حاييم وايزمان » مرة أخرى إلى إيطاليا ، وعرض على موسولينى حاجة الوكالة اليهودية لمساعدته ، فطمأنه موسولينى بأنه يتفهم حاجة الوكالة اليهودية للمساعدة فى بناء اقتصادها ، ثم أردف قائلاً : لكى تنجح الصهيونية يجب أن تحصلوا على الاعتراف بدولة يهودية لها علم يهودى ، ولغة

يهودية ، والذين يفهمون ذلك ، ويقدرون على تحقيقه أشخاص مثل الفاشى «جابوتنسكى» (١) .

وكان جابوتنسكى صهيونى يؤمن بالفكر الفاشستى ، وبكل أفكار موسولينى وتجاربه الذى كان شديد الإعجاب به ، ويتمثله فى كل شىء .

وفى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٠م أعلن موسولينى دمج جميع التجمعات اليهودية الموجودة على الأرض الإيطالية فى اتحاد فاشستى يمثل كل اليهود الإيطاليين ، ونصت المادة ٣٥ من قانون تأسيس هذا الاتحاد على أن اليهود سفراء الفاشية لكل دول العالم .

وشيئًا فشيئًا أخذت العرى تتوثق بين الصهيونية ـ خاصة الصهيونية التصحيحية ويمثلها فلاديمير جابوتنسكى والفاشية الإيطالية بزعامة موسولينى .

ويعد الصهيونى التصحيحى فلاديمير جابوتنسكى ، مؤسس الفيلق الصهيونى القتالى الهاجناه (الدفاع) التى كانت نواة الجيش الصهيونى فيما بعد .

ولقد استطاع جابوتنسكى أن يجمع عشرات الآلاف من الشباب الصهيونى التصحيحى، ويجعل لهم زيًا موحدًا من القمصان بنية اللون على غرار « الميلشيات» الفاشية ، وهم الذين كونوا حركة « بيتار » ذات النزعة العسكرية ، والتى شكلت القسم المركزى للتصحيحيين الصهاينة فيما أطلقوا عليه بلاد المهجر (بلاد الشتات).

وكان نظام حركة « البيتار » يتمثل النظام الفاشستى العسكرى فى تنظيماته ، وسلوكه العسكرى ، وكان جابوتنسكى يختار قادة الوحدات القومية بنفسه ، ثم يترك لهم أن يختاروا القيادات الأدنى منهم .

وقد وجدت هذه الحركة « بيتار » تأييدًا قويًا من فاشىّ إيطاليا ، لدرجة أن موسولينى سمح لأعضاء هذه الحركة فى نوفمبر سنة ١٩٣٤م بأن تبعث بفصيل منها، لكى يلتحق بالأكاديمية البحرية فى « سيفيتا فيكيا » للتدريب فيها تحت إشراف

---

(١) انظر : المسيرى : موسوعة اليهود واليهودية ٢/٤٥٦، ٤٥٧، وانظر أيضًا : لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ١٥٣ ، وجارودى : الأساطير ، ص ٩٩ ، ١٠٠ .

قوات إيطالية من ذوى القمصان السود » . وصار هؤلاء فيما بعد نواة البحرية فى الكيان الصهيونى .

وعلى طريقة الحركة الصهيونية مع دول الغرب الاستعمارى ، على مبدأ : كم تأخذ وكم تعطى إنه خطاب المصلحة المباشر ، خطاب برجماتى بعيداً عن الحيل . وقد كان هذا الخطاب بين « حاييم وايزمان » رئيس المنظمة الصهيونية ، وعالم الكيمياء، و« موسولينى » زعيم الفاشية، فقال هذا الأخير لـ « وايزمان » : إن إيطاليا فى حاجة إلى الدواء ، وفى حاجة إلى إحداث تقدم فى الصناعات الكيماوية بصفة عامة .

ورد عليه « وايزمان » قائلاً: سأضع فى متناولك فريقًا متكاملاً من الكيميائيين ذوى الكفاءة العلمية العالية ، إنهم من أهم الخبراء فى الصناعات الكيماوية ، وأهل ثقة ، وموالين لمصالحنا ، ولديهم الرغبة فى تقديم الخدمة الضرورية ، ثم أضاف : وعند الضرورة سنكون قادرين على توفير المال الضرورى لذلك .

وفى مقابل هذه الخدمات التى أبدى وايزمان أن تقدمها الصهيونية للفاشية ، أيد « موسولينى » أفكار الصهيونية عن تقسيم فلسطين ، وعن الدولة الصهيونية المستقلة، كما أبدى استعداده فى أن تساعد حكومته الصهيونية على إقامة أسطولهم التجارى الجديد [1] ، وكان ذلك فى ١٧ فبراير سنة ١٩٣٤م .

وكانت إيطاليا فى أواخر سنة ١٩٣٤م فى حالة انفصام عن ألمانيا ، وكان «وايزمان» ونائبه « جولدمان » يريدان اغتنام هذه الفرصة بالاعتماد على موسولينى فى حل بعض مشاكل اليهود فى النمسا ، إذ كانت الحكومة النمساوية تمارس التمييز ضد اليهود ـ وكان موسولينى يستطيع أن يتدخل لمصلحة اليهود فى النمسا، لأن الحكومة الاشتراكية المسيحية فى النمسا ، كانت تعتمد على الجيش الإيطالى عند ممر بيرنز لحمايته من غزو الألمان .

وكان موسولينى يحاول أن يكسب الصهيونية لصفه ، لولا أنه كان يعلم علم

---

(١) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ١٩٦، ١٩٧ .

اليقين أن إخلاصها لبريطانيا يفوق إخلاصها لإيطاليا ، ومع ذلك فقد كان كل من: إيطاليا والمنظمة الصهيونية يريد أن يكسب من الآخر بقدر ما يستطيع .

قال موسولينى لجولدمان نائب رئيس المنظمة الصهيونية : اليهود شعب عظيم، وسيظل شعبًا عظيمًا ، ولكن يجب أن تنشئوا الدولة الصهيونية ، أنا صهيونى ، ولقد قلت للدكتور وايزمان ذلك ، يجب أن يكون لكم دولة حقيقية ، وليس الوطن القومى السخيف الذى يعرضه البريطانيون عليكم ، سأساعدكم على خلق دولة يهودية (١) .

يشير موسولينى إلى أن وعد بلفور بإنشاء وطن قومى لليهود ، غير كاف ، وأنه يريد دولة بمعيار الدول المعترف بها ، ولكن يبدو أن الزعيم الفاشى ، كان يخدع الزعيم الصهيونى ، لأن بريطانيا كانت أحرص على مصالحها فى العالم العربى، ووضع الكيان الصهيونى فى قلبه يدعم مصالحها ، أما إيطاليا فلم يكن لها مع الصهيونية إلا مصالح صغيرة ، لا تعدو المساعدات الصغيرة ، أو التأييد السياسى فى بعض المحافل الدولية ، وعلى سبيل المثال : فمع بداية الحرب الإيطالية / الأثيوبية سعى موسولينى لتوثيق روابطه مع المنظمة الصهيونية العالمية ، وفى خريف سنة ١٩٣٥م كانت عصبة الأمم [الأمم المتحدة الآن] على وشك فرض عقوبات على إيطاليا ، فأرسلت وزارة الخارجية الإيطالية بسرعة « دانتى لاتس » ممثل الاتحاد الصهيونى الإيطالى فى اتفاقاته مع النظام الفاشى ، و« أنجلو أورفيتو » الشخصية الصهيونية البارزة المعروفة لإقناع البرجوازية اليهودية الأوربية أن تقنع الدول بمعارضة قرار فرض العقوبات ، وكان لديهما حجتان :

الأولى : إن العقوبات قد تدفع موسولينى إلى التقارب مع هتلر .

الثانية : إن موسولينى مستعد بأن يصرح علنا لصالح إقامة دولة يهودية على الفور .

وزادوا على ذلك أن موسولينى صديق عملى للحركة الصهيونية .

---

(١) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ١٩٩ .

وقابل « دانتى » و« أورفيتو » و« وايزمان » ، وقادة اليهود الإنجليز الرسميين، ولكن بدون الحصول على أية فائدة ؛ لأنه كان يتحتم على القادة اليهود أن يساندوا بريطانيا ، لأنهم يعرفون الحقيقة جيدًا ، وهى أن إيطاليا الفاشية لم تكن ندا لبريطانيا فى المنطقة العربية فى أفريقيا وآسيا (١) .

ويبدو أن المشروع الصهيونى فى التقارب مع الفاشية لم يكلل بالنجاح إلى النهاية ، ولقد فشلت مساعى وايزمان ، ذلك لأن الحكومة البريطانية التى كانت على علم به ، لم تهتم بمشروعه ، كما لم يكن بمقدوره تجميع رأس المال اللازم لدعم مشروعه مع الفاشية ، وهو المشروع الذى لم تجعل له الصهيونية أية أولوية. ثم إن « وايزمان » كان مثل سلفه « تيودور هرتزل » مغامرًا ، ومضاربًا سياسيًا ، والمضاربة غير مضمونة النجاح فى كل الأحوال .

كما أن التصحيحيين الصهاينة كانوا يساندون الفاشية ، فراهنوا بهذه المساندة على الحصان الخاسر ، فى سباق الرحيل إلى أرض الميعاد أرض فلسطين وعلى كل حال فبموت « فلاديمير جابوتنسكى » ماتت علاقة الصهاينة التصحيحية بالفاشية الإيطالية ، وإن ظلت منظمة البيتار العسكرية على مبادئها .

العصابات الصهيونية القتالية :

ذكرت المراجع الصهيونية وغير الصهيونية أن فلاديمير جابوتنسكى ، كان صهيونيًا دمويًا ، وكان متأثرًا بموسولينى ، كما ذكرت المراجع أن موسولينى كان يكن الإعجاب به ويصفه بالفاشستى الصهيونى ، وأنه سمح لفصائل من عصابات البيتار الصهيونية القتالية أن تتدرب فى الأكاديميات العسكرية الإيطالية .

ويصف المؤرخ اليهودى غير الصهيونى لينى برينر حب جابوتنسكى لإيطاليا بقوله :

كان جابوتنسكى تلميذًا فى إيطاليا ـ وقت ازدهار الفاشية ـ وكان محبًا للنظام الأرستقراطى الإيطالى القديم ، وكان يرى فى نفسه أبطال إيطاليا الثلاثة الذين

---

(١) لينى برينر : المرجع السابق نفسه ، ص ٢٠٠ .

وحدوها : ماتزينى ، وكافور ، ، وغاريبالدى ، فى جسد يهودى » [1] .

وكانت عصابة « بيتار » الشابة النشطة على الدوام تمثل المركز الرئيسى للتصحيحيين الصهاينة فى المهجر ، وكان شعارها : الغزو أو الموت ، وأن العنف هو السبيل لبناء الدولة الصهيونية فى بولندا ، منذ تأسيسها فى بولندا فى سنة ١٩٢٣م .

ومع أن عصابة « بيتار » كانت تقتبس من الفاشية ، لحب مؤسسها لخطط موسولينى ، إلا أنها كانت متأثرة فى الوقت نفسه بالنازية ، ومن ثم فقد حظيت فى ألمانيا بموافقة (الجستابو = جهاز الشرطة السرية لألمانيا فى زمن النازية) لتقاربها من الأهداف التى تسعى إليها السياسة الألمانية بشأن الواقع العملى لليهود .

كان الرجل الثانى فى تنظيم عصابة بيتار ، هو مناحم بيجن الذى وصل إلى رئاسة الوزراء فى الكيان الصهيونى بعد حرب سنة ١٩٧٣م .

وكان بيجن ، وهو فى الثانية والعشرين من عمره ، فى سنة ١٩٣٥م يمثل شخصية بارزة فى تنظيم عصابة البيتار ، لدرجة أنه كان يجلس بجوار جابوتنسكى على منصة الرياسة فى مؤتمر التصحيحيين البولنديين فى سنة ١٩٣٥م . وكان بيجن يصعد قفزًا إلى المناصب فى تنظيم عصابة البيتار حتى صار الشخصية المسيطرة على حركة البيتار فى المؤتمر العالمى الذى عقدته فى وارسو فى سنة ١٩٣٨م ، ثم أصبح مسؤول « البيتار » البولنديين فى سنة ١٩٣٩م وفى هذه المرحلة كان قد اكتسب لقب فاشستى ، وكان يروق له أن يلقب به .

وفى السنة نفسها سنة ١٩٣٩م انضم إلى الجناح الراديكالى فى الحركة التصحيحية التى كانت مرتبطة أيديولوچيا بـ (برت هابير يوئيم) اتحاد الإرهابيين، وكان صديقًا حميمًا للإرهابى « أشيمير » الذى أبعد إلى بولندا فى سنة ١٩٣٥م و«فون ديزل» ، كما كان صديقًا حميمًا « ناثان يالين ، ـ مور » ومعجبًا بـ «أفراهام شتيرن ، وكلاهما شمولى » [2] .

(١، ٢) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ١٤٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ .

ولأن مركز عصابة بيتار كان مركزها بولندا ، وجب التنويه إلى مبررات ذلك.

من المعلوم أن الظاهرة اليهودية ، تحولت تدريجيًا إلى ظاهرة غربية استعمارية بالدرجة الأولى ، وفى داخل هذه الظاهرة كانت تجربة يهود بولندا ، أهم التجارب التاريخية فى حياة الجماعات اليهودية ، ذلك لأنهم كانوا يمثلون أكبر التجمعات اليهودية فى أوربا حتى نهاية القرن ١٩ هذا من ناحية الكم، أما من ناحية الكيف، والتطورات التاريخية اللاحقة، فإن الصهيونية حركة نشأت أساسًا فى صفوف يهود اليديشية ، وأن التجربة الاستيطانية الصهيونية اللاحقة ، أكدت أهمية تجربة يهود «الأراندا» فى أوكرانيا كممثلين لطبقة «الشلاحنا» وهم النبلاء البولنديون، فى إطار الإقطاع الاستيطانى فى أوكرانيا ، وثورة « شميلكى » ضد هذا الإقطاع [١] .

أضف إلى ذلك معاملة النازى لهم بتجميعهم فى أكبر « جيتو » اجتمع فيه أكبر عدد من اليهود ، هو « جيتو وارسو » فقد تدربوا فيه على إدارة شؤونهم كدولة صغيرة ، ذلك بأن عدد اليهود الذين عاشوا فى « جيتو وارسو » وهو ٥٠٠٠٠٠ (خمسمائة ألف) يهودى يزيد عن عدد اليهود الذين كانوا مستوطنين بفلسطين حتى سنة ١٩٤٨م سنة إعلان دولة الكيان الصهيونى ، كما أن يهود «جيتو وارسو » كانوا يعيشون حياة قاسية ، أكثر قسوة من تلك التى عاشها المهجرون الأوائل من اليهود إلى أرض فلسطين .

من هنا لم يكن غريبًا أن ينشأ من يهود بولندا ذلك النوع المتأثر بالفاشية والنازية ، وهم الذين صاروا حكام الكيان الصهيونى فيما بعد .

وبعد وصول مثل هذه العصابات إلى أرض فلسطين فارقا حاسمًا بين العرب من جهة ، والصهيونية من جهة أخرى ، لأن هذه العصابات هى التى أصبحت جيش الكيان الصهيونى ، ذا الميول النازية الفاشية العدوانية.

خطط « جابوتنسكى» لغزو فلسطين فى سنة ١٩٣٩م معنى ذلك أن الصهيونية بدأت تكشف أقنعتها ، فلم يعد الصهاينة حجاجًا للأرض المقدسة ، أو مجرد مستوطنين مسالمين مستعدين للتعايش مع العرب أصحاب أرض فلسطين فى هدوء وسلام، بل أصبحوا مقاتلين غزاة ، جاؤوا لطرد العرب وسلب أموالهم وأرضهم.

---

(١) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ٢٤٩ .

ولقد تم التخطيط لغزو فلسطين أولاً فى سنة ١٩٣٧م عندما أعلن البولنديون موافقتهم على تدريب عصابات « الأرجون » وتسليحهم لكى يكونوا قادرين على حرب الفلسطينيين على أن يتم الغزو فى سنة ١٩٤٥م .

وفى ربيع سنة ١٩٣٩م أقام البولنديون معسكرات تدريب العصابات فى «زاكوبان» فى جبال « تترا » وتم تعليم بعض أعضاء « الأرجون » وهى : «المنظمة العسكرية القومية فى فلسطين » = (إرجون تسفاى ليومى) وهى ـ منظمة وثيقة الصلة ، بالأنظمة الشمولية فى أوربا خاصة فى النظام النازى فى ألمانيا ، والفاشى فى إيطاليا ، سواء فى بنائها التنظيمى ، والحركى ، ونظرتها إلى العالم ـ طرق التخريب والتآمر ، والانتفاض ، وقام بتدريبهم ضباط بولنديون ، وبعد إتمام التدريب ، تم تسليح عشرة آلاف رجل منهم ، بالأسلحة اللازمة (١) .

وتم تهجير هؤلاء جميعًا بطرق شرعية (بحسب التعبير الاستعمارى) وطرق غير شرعية ، كتلك الطريقة المتفق عليها بين إيخمان ممثل النازية ، وكوستنر ممثل الصهيونية ، وحسبما جاء فى الوثائق فقد كانت الأولوية لمثل هؤلاء فهم الصهيونيون المحاربون .

واختفى جابوتنسكى من المسرح الصهيونى ، وخلفه مناحم بيجن على رياسة عموم عصابات « البيتار المقاتلين » ، وصار يطلق على أرض فلسطين فى بعض الوثائق البريطانية مستعمرة بولندية ، لغلبة الصهاينة البولنديين على غيرهم من صهاينة البلاد الأخرى ، فضلاً عن أنهم الذين فصلوا للمناصب العليا فى دولة الكيان الصهيونى ، فقد وصل « مناحم بيجن » على سبيل المثال ، إلى منصب رئيس الوزراء فى حكومة « الليكود » فى سنة ١٩٧٧م (٢) .

---

(١) لينى برينر : الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ٢٤٩ .

(٢) فى ديسمبر سنة ١٩٤٨م بعث « ألبرت أينشتين » و« حنا أرندت » و« سيدنى هوك » وآخرون من اليهود التمثليين فى الولايات المتحدة برسالة إلى صحيفة نيويورك تايمز تفضح بيجن قالوا فيها : إن من أكثر الظواهر السياسية المقلقة فى زمننا ، هو ظهور حزب الحرية (تنوت هاحيروت) فى دولة إسرائيل ، التى نشأت مؤخرًا ، وهو حزب مياسى مرتبط بشكل وثيق فى تنظيمه ، ومناهجه ، وفلسفته السياسية ، وتوجهه الاجتماعى بالأحزاب النازية والفاشية ، فهو يدعو إلى خليط مما فوق القومية ، والأساطير الدينية ، والتفوق العرقى . نقلاً عن لينى برينر : المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

عصابة شتيرن :

كان المتخصصون فى الدراسات حول الصهيونية من المؤيدين لها ، ينظرون إلى تنظيمات التصحيحيين على أنها هامشًا متعصبًا من الصهيونية ، وكانت عصابة شتيرن بصفة خاصة من أشد التصحيحيين غلوًا وتطرفًا ، لدرجة أن لينى برينر كان ينظر إليها على أنها ذات أهمية أكثر للعالم النفسى ، أكثر منها للعالم السياسى » ويقصد لينى بيرنر ، أنها مؤلفة من أعضاء مرضى بعقدة النازية والفاشية ، وأنهم يتعاملون بها مع خصومهم .

ولقد وصلت هذه العصابة مصيرها بمصير هتلر ، ففى سنة ١٩٤١م أقدمت هذه العصابة التى كانت تطلق على نفسها جماعة « ليحى » = المحاربون من أجل تحرير إسرائيل) وكان يتزعمها (إبراهام شتيرن) ثم تولت القيادة بعد موته لجنة ثلاثية ، من بين أعضائها « يتسحاق شامير » فقد دعا « شامير » صراحة إلى التحالف مع هتلر .

وكانت هذه العصابة قد قويت ، وقوى نفوذها فى الأوساط الصهيونية ، بعد الانشقاق فى « الإرجون » الإرهابية ـ بما فيهم « شتيرن » فانضمت الأغلبية إلى «شتيرن » الذى غير اسمه إلى « إليعازر بن يائير » وبدأ فى ذلك الوقت فى سبتمبر سنة ١٩٤٠م فى تحديد أهدافه الكاملة فى خمسة عشر مبدءًا ، أهمها إقامة دولة يهودية بالحرب على العرب ، تكون حدودها كما حددها سفر التكوين ١٥ : ١٨ من نهر مصر ، إلى النهر الكبير ، نهر الفرات ، وطرد السكان العرب منها ، وبناء الهيكل الثالث فى القدس .

والذى يؤكد ضلوع هذه العصابة بالتواطؤ مع النازى ما نشرته صحيفة حوتام الأسبوعية الصادرة فى تل أبيب فى ١٩ أغسطس سنة ١٩٨٣م عن عضو «الكيبوتس يافا » « إليعازر هاليفى » الذى كشف عن وثيقة تحمل توقيع « شتيرن » و«يتسحاق شامير » الذى كان اسمه آنذاك « يزر نيتسكى » سلمت إلى السفارة الألمانية بأنقرة، وكانت قوات « روميل » قد وصلت إلى الأراضى المصرية بالعلمين جاء فيها ما يلى : « نحن نتطابق معكم فى المفاهيم فلماذا لا نتعاون معًا » .

« وفى ٣١ يناير سنة ١٩٨٣م نشرت صحيفة ها إرتس رسالة سرية ، كانت موجهة فى يناير سنة ١٩٤١م من سفير ألمانيا فى أنقرة « فرانز فون بابن » إلى رؤسائه ، يروى فيها تفاصيل اتصالاته مع أعضاء جماعة « شتيرن » وملحق بها مذكرة عميل الاستخبارات السرية النازية فى دمشق « ويرنو أوتو فون فينتج ، بخصوص محادثاته مع مبعوثى « شتيرن » و« شامير » ومما جاء فى هذه المذكرة : إن التعاون بين حركة ليحى = تحرير إسرائيل ، والنظام الجديد فى أوربا ، يتماشى تمامًا مع فحوى خطب زعيم الرايخ الثالث التى أكد فيها « هتلر » على ضرورة استخدام جميع صور التحالفات من أجل عزل إنجلترا ودحرها . كما تشير المذكرة إلى أن جماعة « شتيرن » وثيقة الصلة بالحركات الشمالية فى أوربا ، وبفكرها وهياكلها التنظيمية ، وأنه من الممكن أن يكون هناك تطابق فى المصالح بين النظام الجديد فى أوربا ، وفقًا للتصور الألمانى ، وتطلعات الشعب اليهودى فى فلسطين.

هكذا روى جارودى ما وصل إليه من معلومات عن التواطؤ الألمانى النازى والصهيونية .

ولكن لينى برنر أورد معلومات أكثر تفصيلاً وإيضاحًا عن الوثائق النازية الصهيونية فى السفارة الألمانية بأنقرة فقال : « اكتشفت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية نسخة من اقتراح عصابة « شتيرن » لإقامة تحالف بين حركته ، والرايخ الثالث فى أوراق السفارة الألمانية فى تركيا ، كانت وثيقة أنقرة تسمى: (اقتراح من المنظمات العسكرية القومية = إرجون تسفاى ليومى) [لم تكن « شتيرن » الجناح الأشد غلواً قد انفصل عنها] يتعلق بحل المسألة اليهودية فى أوربا ، ومشاركة المنظمة العسكرية القومية فى الحرب إلى جانب الألمان بتاريخ ١١/١/١٩٤١م أما نص الوثيقة ففيما يلى :

« إن إجلاء الجماهير اليهودية من أوربا ، لهو شرط مسبق لحل المسألة اليهودية ولكن ذلك لا يمكن أن يصبح ممكنًا ، إلا من خلال توطين هذه الجماهير فى وطن الشعب اليهودى بفلسطين ـ ومن خلال إقامة الدولة اليهودية فى حدودها التاريخية (التوراتية) .

إن المنظمة القومية العسكرية (الأرجون ، لأن شتيرن وعصابته كانوا يعدون أنفسهم الأرجون الحقيقى، ولم يكونوا تبنوا اسم المقاتلين من أجل حرية إسرائيل. (ليومى حيروت يسرائيل) التى تعرف جيدًا النوايا الحسنة لحكومة الرايخ الثالث ، وسلطاتها حيال النشاط الصهيونى داخل ألمانيا ، وتجاه خطط الهجرة الصهيونية ، ومن رأيها ما يلى :

١ ـ إن المصالح المشتركة يمكن أن تقوم بين إقامة نظام جديد فى أوربا متسق مع كل من المفهوم الألمانى ، والطموحات القومية للشعب اليهودى ، كما تجسدها المنظمة العسكرية القومية .

٢ ـ إن التعاون بين ألمانيا الجديدة [النازية] وبين عبرانية شعبية متجددة ممكن.

٣ ـ إن إقامة الدولة اليهودية التاريخية [التوراتية] على أسس قومية شمولية ترتبط بمعاهدة مع الرايخ الألمانى ستكون فى مصلحة الحفاظ على موقع نفوذ ألمانى مستقبلى فى الشرق الأوسط [العالم العربى] وتقويته .

٤ ـ تؤكد المنظمة القومية العسكرية ، أن الصلة وثيقة بينها ، وبين الحركات الشمولية فى أوربا فى أيديولوچيتها وبنيتها [١] .

كانت عصابة شتيرن ، وفى طلعتها « يتسحاق يزرتنسكى » أو الحاخام : «شامير» باسمة التنظيمى السرى ، أو إسحاق شامير الذى صار رئيسًا لوزراء دولة الكيان الصهيونى ـ تعتقد أن خلاص اليهود يكمن فى النموذج الشمولى ، وقد شاهدوا الصهاينة يقيمون علاقات مع النازى منذ توليه السلطة فى سنة ١٩٣٣م عن طريق معاهدة « الهعفراه » وشاهدوا جابوتنسكى ، وبيجن يوثقان صلتهما بالفاشية الإيطالية ، ولكنهم كانوا يرون أن كل هذه العلاقات السابقة مع النازية والفاشية ما هى إلا أنصاف حلول ، لم تحسم الحل النهائى لمصلحة اليهود، فلماذا لا يتحالفون مع الفاشيين والنازيين على السواء ، وينضم محاربو « شتيرن » إلى القوات النازية والفاشية ليقاتلوا معهم جنبًا إلى جنب قوات الحلفاء ، وتكون النهاية انتصارًا

---

(١) لينى برينر: الصهيونية فى زمن الديكتاتورية ، ص ٣٢٩، ٣٣٠ ، وأيضًا جارودى: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ١٠١ ـ ١٠٤ ، والمسيرى : موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ٢/ ٤٧٢ ، ٤٧٣.

يتحقق للأنظمة الشمولية الأوربية ، والحركة القومية من أجل تحرير (إسرائيل) بطرد جميع العرب من أرضهم بفلسطين .

وانقطعت الاتصالات فجأة فى يونيو سنة ١٩٤١م بين عصابة شتيرن والجهات الألمانية وألقى القبض على « إسحاق شامير » نفسه فى ديسمبر ١٩٤١م فقد قبضت عليه القوات البريطانية ، ووجهت إليه تهمة الإرهاب ، والتعاون مع النازية .

ولكنه استطاع أن ينجو ، واستطاع أن يواصل أعماله كإرهابى محترف فقام بتدبير اغتيال اللورد موين بالقاهرة ١٩٤٢م ، والكونت برنادوت فى سنة ١٩٤٨م.

وبالرغم من ماضيه العميق الجذور فى الإرهاب فإن « بيجن » رئيس وزراء إمرائيل فى سنة ١٩٧٧م اختاره ليكون وزيرًا لخارجيته ، ثم صار رئيسًا للوزراء بعد موت « بيجن » .

لقد كان « شامير » مثله كمثل « بن جوريون » أول رئيس لوزراء دولة الصهاينة ، ومناحم « بيجن » الذى تولى المنصب نفسه فى سنة ١٩٧٧م، و«أرئيل شارون » آخر رؤساء وزرائهم ، يسعون إلى طرد العرب من أرضهم فلسطين عن طريق عمليات الإرهاب ، وهدم البيوت ، ومصادرة الأموال والأراضى ، والإبعاد لتحقيق هدفهم العرقى النازى الفاشستى .

وفى ذلك يقول جارودى يصف هؤلاء الذين ينتمون إلى مثال هتلر على لسان «ديفيد بن جوريون» إن بيجن ينتمى دون شك إلى المثال الهتلرى ، فهذا العنصرى على استعداد لإفناء العرب جميعًا من أجل تحقيق حلمه بتوحيد «إسرائيل» بل إنه لا يتورع عن اللجوء لأية وسيلة فى سبيل هذا الهدف المقدس .

ولكن بن جوريون نفسه لم يؤمن مطلقًا بإمكان التعايش مع العرب ، فقد كان انطباعه الدائم تجاه العرب أن يشن هجومًا عسكريًا واسع النطاق على العرب ، ليقضى على السكان العرب .

« إن الحركة الصهيونية قامت على مبدأ وجود كيان يهودى خالص فى فلسطين » [١] .

---

(١) جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ص ١٠٥، ١٠٦ .

وكانت المادة البشرية الصالحة لإقامة هذا الكيان ، الأساس الانتقائى فى عملية التهجير ، لا إنقاذ اليهود .

ومن هنا التقت وجهات نظر الصهيونية التصحيحية ، والنظم النازية والفاشية التى تقوم على معيار عرقى أو قومى ـ ومن ثم فقد كان مبدأ العداء للسامية (معاداة اليهود) المحرك إلى تجميع اليهود فى « جيتو عالمى واحد » بدلاً من « الجيتوات » المنتشرة فى بلاد العالم ، وكان الصهاينة أنفسهم يرون أن « معاداة السامية » ضرورة لبقائهم ، من أجل إقامة الدولة الصهيونية ، وكان « تيودور هرتزل » مؤسس الصهيونية لا يفتأ يؤكد عليه ، ويدونه فى يومياته ، ففى سنة ١٨٩٥م قال لأحد محدثيه الألمان « سبيدال » : « إننى أتفهم مشاعر العداء للسامية » ثم يعبر عن رأيه بصورة أكثر وضوحًا فيقول : « سيصبح أعداء السامية أوثق أصدقائنا ، وستصبح الدول المعادية للسامية حليفة لنا » [١] . ولعله كان يقصد : أن العداء للسامية ، هو وقود الناقلات التى ستدفع اليهود دفعًا إلى أرض فلسطين ، وكان «هتلر » ، وكل السلطات النازية أكبر دليل على صدق نبوءة « هرتزل » .

لكن الروح العدوانية التى يتعامل بها الصهاينة ، منذ وطؤوا أرض فلسطين وإلى الآن تجعل قرارهم الدائم فى هذه الأرض موضع شك ، فالعداء لا يولد إلا العداء ، والعدوان لا يولد إلا مثله ، ولن يتحقق حلم الصهاينة الأوائل ، أمثال: «هرتزل» ، و« بن جوريون » ، و« ومناحم بيجن » ، و« يتسحاق شامير » ، ولا الصهاينة الأواخر من أمثال : « نتن ياهو » ، و« أرئيل شارون » ، و« بيريز » ، فكلهم دمويون تشبعت نفوسهم بالحقد ، وحب امتصاص الدماء .

إنهم يعيشون فى قلق، وخوف دائم أشد مما كانوا يعانونه فى البلاد الأوربية، وهم يخافون من أرواحهم الشريرة أكثر من أى شىء آخر، لأن أنيابهم ومخالبهم، لم تنق بعد من دماء الأبرياء ، وهم فى هذا الجيتو الكبير منبوذون ، ومقيدون بأغلال ضمائرهم الدنيئة .

كان « بن جوريون » أول رئيس لوزراء إسرائيل يريد أن يجعل من دولة

(١) جارودى : المرجع السابق نفسه ، ص ١٠٩، ١١٠ نقلاً عن يوميات هرتزل ، ص ٩، ١٩ .

الكيان الصهيونى ، دولة عظمى فى وسط العالم العربى وقلبه تخدم الاستعمار ، ولكن كان عدد السكان اليهود فيها حتى شهر أغسطس سنة ١٩٤٩م أى بعد الاعتراف الغربى بوجودها بسنة وثلاثة أشهر ـ يبلغ ٩٠٠,٠٠٠ يهودى (تسعمائة ألف) ، وكان « بن جوريون » يهدف أن يجلب إليها أربعة ملايين يهودى فى الفترة ما بين سنة ١٩٥١ ـ ١٩٦١م ، ولكن لم يهاجر حتى سنة ١٩٥٩م سوى ٨٠٠,٠٠٠ (ثمانمائة ألف) يهودى، وفى سنة ١٩٦٠م لم يهاجر سوى ٣٠,٠٠٠ (ثلاثين ألف) يهودى .

وفى سنتى ١٩٧٥م ، ١٩٧٦ كان عدد الذين نزحوا من دولة الكيان الصهيونى ، يزيد على عدد المهاجرين إليها [١] .

لقد تم ذلك بعد أول نصر عسكرى حاسم يحققه العرب على دولة الكيان الصهيونى فى حرب سنة ١٩٧٣م ـ ولولا عمليات الاضطهاد المروعة التى لاقاها يهود رومانيا ـ والفقر فى الاتحاد السوفيتى ، والقلاقل فى بولندا ـ ذلك على سبيل المثال ـ ما ذهب يهودى أوربى غير صهيونى تصحيحى إلى دولة الكيان الصهيونى، كذلك لولا الأحداث التى حدثت فى بعض البلدان العربية من انقلابات وثورات ،

---

(١) كانت المنظمات الصهيونية الإرهابية ، تروع اليهود الذين لا يذهبون إلى فلسطين وتقتلهم ، وعلى سبيل المثال فقد قامت عصابة الهاجاناه التى كان يتزعمها « بن جوريون » فى سنة ١٩٤٠م بتفجير باخرة (ناقلة بضائع) عند توقفها فى ميناء حيفا مما أسفر عن مصرع ٢٥٢ يهوديًا ، بالإضافة إلى أفراد طاقمها ، وكانت السلطات البريطانية قد أنقذتهم من خطر النازى، وعمدت إلى نقلهم إلى جزيرة موريشيوس ، وكان « بن جوريون » يريد تفريغهم فى فلسطين، فلما رفضت السلطات البريطانية أمر عصابته بتفجير الباخرة .

وثمة مثال آخر : كان يعيش فى العراق ١١٠,٠٠٠ (مائة وعشرة آلاف) يهودى ، تعود جذورهم إلى القرن السادس قبل الميلاد ، وصف حالهم حاخامهم الأكبر « خضورى ساسون » بقوله : « لقد تمتع اليهود بنفس الحقوق والامتيازات التى يتمتع بها العرب ، ومن ثم فهم لا يعدون أنفسهم عناصر غريبة ، أو منعزلة داخل هذه الأمة .

وفى سنة ١٩٥٠م رفض يهود العراق الهجرة إلى أرض الكيان الصهيونى ، عند ذلك لم تتورع الاستخبارات السرية الصهيونية فى إلقاء القنابل الحارقة على بيوتهم ، ومعبدهم « شيم توف » مما أدى إلى مصرع بعض الأشخاص ، وإصابة البعض ، لإقناعهم بأن الخطر يتهددهم، وبعدها بدأت عملية خروج يهود العراق ، التى عرفت باسم : « عملية على بابا » .

وانظر : جارودى : الأساطير المؤسسة للسياسة الصهيونية ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

وتحولات اقتصادية وسياسية واشتراكية وتأميم للثروات ، وهى أمور تضاد العناصر النفسية المكونة للشخصية اليهودية ، فضلاً عن عمليات ترويع اليهود الآمنين فى البلدان العربية بواسطة أجهزة الاستخبارات الصهيونية ، ما رحل يهودى من المقيمين بهذه البلاد .

ولولا الحلم الذى التبس يهود « الفلاشا » الذين لا يعرفون من اليهودية إلا اسمها ، وتختلط العقيدة فيهم بعقائد مسيحية وإفريقية وثنية ، ولكنهم أغرقوا فى الحلم الصهيونى ، وساعدتهم قوى محلية غير وطنية فى الرحيل إلى الكيان الصهيونى ـ لما وصل عدد اليهود فى دولة الكيان الصهيونى ، إلى هذا العدد .

يقول جارودى إن الفظائع التى ارتكبها « هتلر » لم تنجح فى تحقيق حلم «بن جوريون » فلم يتوجه إلى فلسطين سوى ٨,٥٪ من ضحايا النازية فى الفترة من سنة ١٩٣٥ ـ ١٩٤٣م ، ولم تسمح الولايات المتحدة إلا لنحو ١٨٢٠٠٠ (مائة واثنين وثمانين ألف) يهودى بدخول أراضيها ، ويمثل هذا العدد أقل من ٧٪ ، كما سمحت إنجلترا بدخول ٦٧٠٠٠ (سبعة وستين ألف) يهودى أى أقل من ٢٪ أما الغالبية العظمى والتى تبلغ ٧٥٪ فلم يجدوا ملاذًا غير الاتحاد السوفيتى ، فلجؤوا إليه .

كانت الأزمات الدولية ، وتحولاته السياسية فى العالم الغربى تتدخل ، وقد ساعدت أحداث الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة فى قيام الكيان الصهيونى ، وكانت كل البلدان العربية محتلة من الغرب أو تحت نفوذ غربى ، وكانت أضعف من أن توقف الغارة على العالم الإسلامى ، والدولة العثمانية التى ظلت ستة قرون تمثل الدرع الواقى ، الذى يؤجل الغارة على بلاد المسلمين ، باتت أضعف من أن تحمى نفسها ، وأصبحت ضحية من ضحايا الاستعمار الغربى .

الإسلام وعى ـ وإذا وعاه المسلمون أفاقوا واتحدوا، وعملوا على ما يصلحهم وعندها سيكون للعالم الإسلامى شأنٌ آخر ، غير الدنية التى قبلها المسلمون ، وناموا عند أعتابها .